

الإسلام ديننا
دُروس في السيرة
الثاني الإعدادي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م





المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينـي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنـة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

النبوة والهداية الإلهية

الدرس الأول

النبوة والهداية الإلهية

لماذا كانت النبوة؟

النبـيُّ هـو: الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، ولذا كانت النبوة سفارة بين الله وبين عباده.

والحكمـة الإلهية اقتضت إرسال الأنبياء لما في ذلك من مصلحة العباد وهذه المصلحة ـ التي اقتضت النبوة وهي الهدف والغاية التي كانت لأجلها ـ متعددة :

الأولى: إقامة القسط

قـال تعـالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1].

تتحدث الآية الكريمة عن حاجة الناس إلى العدل وهو لا يتم إلاّ عبر وجود القانون الذي يحفظ حقوق الناس ويضع الحدود بينهم فلا يعتدي بعضهم على بعض، ذلك لأن الطبيعة الإنسانية تقتضي أن لا يعيش الإنسان وحده بل أن يندمج في حياة اجتماعية مدنية مع أمثاله من البشر،

ومن الطبيعي أن تتعارض مصالح الأفراد فيما بينهم، الأمر الذي يؤدي إلى اختلافهم فيما بينهم وتنازعهم على شتى أمورهم، ولذا كان القانون من الضرورات التي يفرضها نشوء كل مجتمع يسعى للوصول إلى السعادة،

ولكن هذا القانون لا بد وأن يتم وضعه بالنحو الذي يرفع فيه النزاع بين أفراد المجتمع عبر إيصال كل ذي حق إلى حقه، وهذا أمر لا يكفله أي قانون بل القانون الذي يكون موضوعاً من العارف بحقيقة هذا الإنسان، وحقيقة ما يحتاج إليه في حياته، وأن لا يكون في هذا القانون مصلحةٌ لهذا المقنّن، ومن هنا كان القانون الإلهي هو أفضل القوانين التي تحكم المجتمعات البشرية فالله عزَّ وجلَّ هو العالم

---

(١) الحديد:٢٥.

بحقيقــة هــذا الإنسان. ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِـيرُ**﴾[٢]. وهو الغني عن كل شيء وعن كل حاجة «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

والأنبياء هم رسل الله إلى الناس وهم واسطة الله عزَّ وجلَّ إلى الخلق لإبلاغهم بهذا القانون الإلهي.

الثانية: التعليم

قال تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**﴾[٣].

تتحـدث الآيـة الكريمة عن كون تعليم الناس هو من الغايات التي لأجلها كان إرسال الرسل وذلك لأن الإنســان لا يعلم من نفسه إلاّ بعض ما فيه مصالح نفسه ويخفى عليه الكثير، ولذا كان الإنسان دائما في حالــة اكتشــاف لما هو مجهول لديه ووظيفة الرسل تعليم هذا الإنسان ما فيه صلاح نفسه سواء في هــذه الدار الدنيا أو في الدار الآخرة، لأن حاجـات الإنسان لا تنحصر بهذه الدنيا المادية بل لا بد وأن يعمل على بناء آخرته في دنياه هذه. وبهذه التعاليم تتحقق هداية الإنسان إلى كماله المنشود.

الثالثة: التزكية والتربية

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَـلالٍ مُّبِـينٍ**﴾[٤]، فالتزكية والتربية الصالحة هــي من الغايات الأخرى التي كان لأجلها إرسال الأنبيــاء والرسل. والمراد من التزكية تطهير النفس من الرذائل، ومن ثمَّ تلقينها عادات الخير والإحسان.

عدد أنبياء الله عزَّ وجلَّ:

لم يقص الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم قصص أنبيائه جميعاً قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ..**﴾[٥].

(٢) الملك:١٤.

(٣) البقرة:١٥١.

(٤) آل عمران:١٦٤.

(٥) غافر:٧٨.

والأنبيـاء الذيـن ورد ذكرهـم في القرآن الكريم بأسمائهـم هم ستة وعشرون نبياً وهـم: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، واليسع، وذو الكفل، والياس، ويونس، واسحق، ويعقـوب، ويوسف، وشعيب، وموسى، وهـارون، وداود، وسليمان، وأيوب، وزكريا، ويحيى، وإسماعيل، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

وقد تعرض القرآن الكريم لبعض الأنبياء دون أن يذكر اسمهم، قال تعالى: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ...**﴾[1].

وأمّا عدد الأنبياء فقد وردت الروايات بأن عددهم هو مئة وأربعة وعشرون ألفاً ففي رواية أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي[2].

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خلق الله عزَّ وجلَّ مائـة ألـف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي وأنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عزَّ وجلَّ مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي، فعليٌّ أكرمهم على الله وأفضلهم»[3].

قـال الشيخ الصدوق قُدِّسَ سِرُّه: اعتقادنا في عددهم أنهـم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، ومائة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي، لكل نبي منهم وصي أوصى إليه بأمر الله تعالى[4].

ضرورة الإيمان بالأنبياء جميعاً

لا بـد للمسلـم مـن الإيمان بنبـوة جميـع الأنبياء عليهم السلام وأنهـم على الحـق وكذلك الإيمـان بطهارتهم وعصمتهـم وقد ذمّ الله عزَّ وجلَّ من يؤمن ببعض الأنبياء دون بعض قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾[5] تبين لنا الآية أن ضرورة الإيمان بجميـع الأنبياء إنما هي من جهة أن دعوة الأنبياء كانت واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد فكأنَّ المكذّب لأحدهم مكذِّبٌ للجميع[6].

---

(١) يس:١٤.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص: ٥٢٤.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص: ٦٤١.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، ص: ٩٢.

(٥) النساء:١٥٠

(٦) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج، ص: ٢٩٥.

ومـن جهـة أخرى فإن إنكار نبوة الأنبياء هو إنـكار لنبوة النبي محمد ﷺ لأنه هو الذي أخبر عنهم وعن صدقهم فإنكار ذلك يرجع إلى تكذيب النبي ﷺ.

وقـد ذكـر ذلك القرآن الكريم حيث يقـول: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَـآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنـزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٧].

(٧) البقرة:١٣٦

٢

الدرس الثاني

درجات الأنبياء وتفاضلهم

الدرس الثاني

درجات الأنبياء وتفاضلهم

درجات الأنبياء عليهم السلام

تتحدث آيات القرآن الكريم عن اختلافٍ في درجات الأنبياء عليهم السلام، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ...**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ...**﴾[2].

يتضح جلياً من هذه الآية أنَّ الأنبياء - وإن كانوا من حيث النبوة والرسالة متماثلين - هم من حيث المركز والمقام ليسوا متساوين؛ لاختلاف مهماتهم، وكذلك مقدار تضحياتهم كانت مختلفة أيضاً[3].

بم يتفاضل الأنبياء عليهم السلام؟

في مقام الحديث عن تفاضل الأنبياء عليهم السلام فيما بينهم فمن الأمور التي يتفاضلون فيما بينهم على أساسه:

١. روح القدس

تُبيِّن لنا الروايات الشريفة أنَّ روح القدس مَلَكٌ عظيم جداً يؤيد الله تعالى به الأنبياء والرسل والمؤمنين، ولكن كل واحد منهم مؤيد بهذه القوة بحسب منزلته، وبحسب قربه من الله تعالى، ففي الرواية عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ..**﴾[4]

قال: «خلقٌ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مع الأئمة وهو من الملكوت»[5].

فروح القدس إذاً هو القوة الغيبية التي يمدُّ بها اللّه تعالى أولياءه، وهذه القوة الغيبية موجودة بشكل

---

(١) البقرة:٢٥٣

(٢) الإسراء:٥٥

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص: ٢٣٤.

(٤) الإسراء:٨٥

(٥) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٣، ص٢١٣، نقلا عن كتاب الكافي.

أضعف في جميع المؤمنين على اختلاف درجة إيمانهم، وهذا الإمداد الإلهي هو الذي يعين الإنسان في أداء الطاعات وتحمُّل الصعاب، ويقيه من السقوط في الذنوب والزلات، من هنا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله لحسّان: "لن يزال معك روح القدس ما ذبت عنّا" وقول بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام لشاعر قرأ أبياتاً ملتزمة: "إنما نفث روح القدس على لسانك"[6]

٢. التفاضل في الخصائص

فبعض الأنبياء يختصه الله تعالى بخصائص لم يختص بها رسولاً آخر كاختصاص موسى عليه السلام بالتكليم فسُمّي كليم الله، بينما كان كثير من الأنبياء يكلِّمه الله من خلال الوحي، أو المنام، وإلى هذا المعنى أشارت روايات عديدة منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبيٌّ منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبيٌّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة..."[7].

٣. التفاضل في كونهم أصحاب شرائع

فأولو العزم هم من الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى كلِّ البشر وليس إلى أمة محددة بعينها، أفضل من الأنبياء الذين أرسلوا إلى أُمَّةٍ خاصة، وهم أصحاب الشرائع الأساسية، وغيرهم من الأنبياء تابع لشرائعهم. ففي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنَّما سُمّي أولو العزم أولي العزم؛ لأنَّهم كانوا أصحاب الشرائع والعزائم، وذلك أنَّ كُلَّ نبيٍّ بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكُلُّ نبيٍّ كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكُلُّ نبيٍّ كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى عليه السلام، وكُلُّ نبيٍّ كان في أيام عيسى عليه السلام وبعده كان على منهاج عيسى عليه السلام وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فهؤلاء الخمسة أولو العزم، فهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام"[8].

---

(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١، ص ٢٩٢.

(٧) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٤، ص ٣٠١٦.

(٨) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤، ص ٣٠١٨ - ٣٠١٩.

٤ . التفاضل في الإمامة

فالإمامة مقام من مقامات القرب من الله تعالى، فقد يكون بعض الإنبياء نبياً ولا يكون إماماً ويشهد على هـذا المعنى ما ورد في قصة إبراهيـم، والتي وردت في القرآن الكريم حيـث يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[١] .

وكان هذا الأمر بعد امتحان النبي إبراهيم عليه السلام بقضية ذبح ولده إسماعيل عليه السلام، فحينها كان نبياً ولم يكـن إماماً. وفي تتمة الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «... والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة، وهو إمام مثل اولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبيًّاً وليس بإمام حتى قال الله: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً...**﴾»[٢].

خلاصة الدرس

- النبوة سفارة إلهية بين الله عزَّ وجلَّ وعباده والهدف من النبوة إقامة العدل بين الناس عبر وضع القانـون الإلهي لهم، وتعليـم الناس ما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم وتربيتهم على الأعمال الصالحة.
- لم يذكر القرآن الكريم جميع أنبياء الله عزَّ وجلَّ كما لم يذكر عددهم ولكن ورد في الروايات أنهم مئة وأربع وعشرون ألفاً.
- لا بد للمسلم من الإيمان بنبوة جميع الأنبياء ممن سبق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- تتفاوت درجات الأنبياء في الفضل، إما بشدة تأييدهم بالروح القدس، أو بخصائص النبوة في كل واحدٍ منهم، أو بعموم رسالاتهم، أو من خلال مقام الإمامة وعدمه.

---

(١) ﴿البقرة:١٢٤﴾

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤، ص ٣٠١٧.

أسئلة الدرس

١. *اشرح بالتفصيل لِمَ كان أمر القانون الذي به يكون العدل بيد الله عزَّ وجلَّ؟*

....

....

....

....

٢. *لماذا كان الإيمان بنبوة الأنبياء ضروريًا على المسلم وهل ورد ذلك في القرآن الكريم؟*

....

....

....

....

٣. *ما سبب تفاوت درجات الأنبياء؟*

....

....

....

....

٤. *ما المقصود من روح القدس؟*

....

....

....

....

للحفظ

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ❖ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ❖ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]

للمطالعة

كان خمسة من الأنبياء سريانيين آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم عليهم السلام وخمسة عبرانيين: إسحاق ويعقوب وموسى وداود وعيسى عليهم السلام، ومن العرب هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وخمسة بعثوا في زمن واحد: إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ولوط عليهم السلام، بعث الله إبراهيم وإسحاق عليهم السلام إلى الأرض المقدسة، وبعث يعقوب عليه السلام إلى أرض مصر وإسماعيل عليه السلام إلى أرض جرهم وكانت جرهم حول الكعبة سكنت بعد العماليق وسموا عماليق لأن أباهم كان عملاق بن لود بن سام بن نوح عليه السلام، وبعث لوط إلى أربع مدائن سدوم وعامور وصنعا وداروما، وثلاثة من الأنبياء ملوك: يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، وملك الدنيا مؤمنان وكافران، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان عليه السلام، وأما الكافران فنمرود بن كوش بن كنعان وبخت نصر.[2]

(١) آل عمران: ٨١-٨٣.

(٢) الاختصاص - الشيخ المفيد - ص ٢٦٤ - ٢٦٥.



٣

الدرس الثالث

أولو العزم

الدرس الثالث

أولو العزم

قـال تعـالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١)

ما معنى (أولو العزم)؟

المراد من أولي العزم معان ثلاث مجتمعة:

المعنى الأول:

أنَّ العـزم هـو الثبات على العهد المأخوذ منهـم وعدم نسيانه فقد قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٢).

والميثـاق المأخوذ من الأنبياء عليهم السلام هـو ميثاق خاص بهم، لأنَّ الآية قالت ميثاقهم وهذا الميثاق هو تأدية الرسالة والتبليغ وقيادة الناس في كلِّ الأبعاد والمجالات.

المعنى الثاني:

إنهـم أصحـاب الشريعة والكتاب، والكتب وإن لم تختص بالأنبيـاء عليهم السلام الخمسة من أولي العزم ولكن الشرائـع اختصت بهم فلا شريعـة تتضمن أحكاماً وقوانين إلاَّ ما جاء به هـؤلاء الأنبياء، وحول هذا الأمر وردت الآيات والروايات.

أمّـا الآيـات فسوف يأتي بيانها وأمّا الروايات فقـد ورد في رواية عن سماعة بن مهران قال قلت لأبي عبـد الله الصادق عليه السلام: «كيف صاروا أولي العزم؟ قال:لأنَّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعـد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نـوح لا كفـرًا به، فكُلُّ نبيٍّ جاء بعـد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيـم ومنهاجه وبالصحف حتى جـاء موسـى بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف وكُلُّ نبيٍّ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ

---

(١) الأحقاف:٣٥.

(٢) النساء:٢١.

بالتوراة وشريعتــه ومنهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه فـكُلُّ نبيٍّ جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمد فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلالُهُ حلالٌ إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام"[٣] ٣.

والعزم يطلق على إرادة الفعل والقطع عليه والصبر والاحتمال والثبات والجد، وأولو العزم من الرسل هـم الذين كانـوا من أصحاب الشرائـع واجتهـدوا في تأسيسها وتقريرها وصـبروا لكمال قوتهم في ديـن الله على إقامتها وإنفاذها وتبليغها أو تحمـل المشاق والمجاهدة والقتال والأذى من سفهاء الأمة الطاعنين فيها.

المعنى الثالث:

إنَّ دعوتهـم تشمـل أهل الأرض جميعاً، فلم يخص الله قوماً بدعوتهم وقد ورد في الرواية عن علي بن الحسين عليه السلام إنَّ أصحابه سألوه عن معنى أولي العزم فقال: «بُعِثوا إلى شرق الأرض وغربها إنسِها وجِنِّها"[٤].

هذه المعاني الثلاث المذكورة هي المشهورة.

تفاسير أخرى لمعنى أولي العزم:

وقد ورد في بعض الروايات تفسير أولي العزم بمعان أخرى منها:

ما ورد عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: «... ثم أدب الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومعنى أولي العزم أنَّهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار باللهِ والإقرار بكُلِّ نبيٍّ كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى"[٥].

منها ما ورد عن جابر عن الإمام الصادق عليه السلام: «وإنما سمي أولوا العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك والإقرار به»[٦].

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ١٧ – ١٨.

(٤) بحار الانوار المجلسي، ج١١، ص٣٣.

(٥) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج٢، ص ٣٠٠.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ٤١٦.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: "ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال ألست بربكم ثم قال وإن هذا محمد رسول الله وإن هذا علي أمير المؤمنين قالوا بلى فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي (عليهم السلام) وأن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأعبد به طوعاً وكرهاً قالوا أقررنا ياربُّ وشهدنا"(١).

عدد أولي العزم

أولي العزم خمسة من الرسل وهم : نوح، إبراهيم، موسى، عيسى عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وبهذا وردت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «أولو العزم من الرُّسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين"(٢).

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٨.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٣٠٠.

٤

الدرس الرابع

خصائص الأنبياء وأولو العزم

الدرس الرابع

خصائص الأنبياء وأولو العزم

أولو العزم في القرآن

لقد ذكر القرآن الكريم أولي العزم وخصَّهم بأن ذكرهم معاً دون غيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1] .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

خصائصُ الأنبياء

يصف أمير المؤمنين عليه السلام الأنبياء في نهج البلاغة قائلاً:

«... كانوا قوماً مستضعفين، قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره...ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصي... ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان... لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء... ولكنَّ الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى...»[3].

إنَّ الأنبياء عليهم السلام هم من أفضل البشر قد اختارهم الله تعالى من بين سائر الخلق واصطفاهم لإبلاغ رسالته، ومعنى الاصطفاء أنه اختارهم من بين الجميع، لميزة فيهم عن سواهم.

---

(١) الشورى:١٣

(٢) الأحزاب:٧

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٢، ص ١٤٤.

فما هي الصفات التي اختص بها الأنبياء والرسل، على رسولنا وآله وعليهم السلام؟

من أهم الصفات التي حبا الله تعالى بها الأنبياء عليهم السلام:

أ. طهارة الآباء

فإنَّ الأنبياء قد انتقلت أنوارهم في الأصلاب المؤمنة العفيفة والأرحام المطهرة النظيفة، فلا يمكن لنبي أن يكون ولداً من سفاح والعياذ بالله، وفي الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية»[٤].

ب. أشد الناس بلاءً

ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أشد الناس بلاء الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»[٥].

ج. السخاء

فالأنبياء هم أهل السخاء والكرم، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ما بعث الله عزَّ وجلَّ نبيّاً ولا وصيّاً إلاّ سخياً"[٦].

بل لا يمكن للبخيل أن يكون نبياً لأنَّ البخل كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كلِّ سوء"[٧]، فإذا كان البخل بهذا المستوى من المجافاة للإيمان فكيف للنبي أن يكون بخيلاً.

خصائصُ أولي العزم

أمّا أنبياء أولي العزم فإضافة لهذه الصفات فقد حباهم الله تعالى بفضيلتين إضافيتين عن سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهما:

---

(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤، ص ٣٠١٩.

(٥) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤، ص ٣٠٢١.

(٦) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤، ص ٣٠٢٠.

(٧) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ١، ص ٢٣٢.

١. هم سادة النبيين والمرسلين

فأولـو العــزم هــم أفضل الأنبياء جميعــاً وهم سادات الأنبيــاء عليهم السلام فقد ورد عن ابن أبــي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم أولو العزم من الرسل وعليهم دارت الرحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء».

٢.العلم

فقـد اختص أنبياء أولي العزم بأنهم أكثر علمًا من سائر الأنبياء عليهم السلام، وورد عن الصادق عليه السلام: «إنَّ الله خلق أولوا العزم من الرسل وفضَّلهُم بالعلم»[١].

خلاصة الدرس

- أولي العزم: هم جماعة خاصة من الرُّسُل ومعنى كونهم أولي العزم هو ثباتهم على العهد والميثاق الــذي عاهدوا به ربَّهم وهو يعني أيضاً كونهم أصحاب الشرائع والكتب، فلا شريعة إلاّ لدى أولي العــزم ومــن جاء بعدهم كان على شريعتهم وهو يعني أيضًا عالمية دعوتهم وشمولها لأهل الأرض جميعاً.
- أولي العزم خمسة من الرسل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.
- أولي العزم هم أفضل الأنبياء وأعلم الأنبياء عليهم السلام.

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٤٨.

أسئلة الدرس

١. ما هو الميثاق الذي أخذه الله عزَّ وجلَّ من الأنبياء عليهم السلام؟

....

....

٢. ما المراد من كون أولي العزم أصحاب شريعة؟

....

....

٣. كم هو عدد أولي العزم ومن هم؟

....

....

٤. ما هي الصفات التي اختص بها أولوا العزم عن سائر الرسل والأنبياء عليهم السلام؟

....

....

للحفظ

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]

للمطالعة

عن أبي الصلت الهروي قال: لمّا جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات واليهود والنصارى والمجوس والصابئة وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزمته حجته كأنه ألقم حجراً، فقام إليه علي بن الجهم فقال: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تقول في قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾**، وقوله عزَّ وجلَّ: **﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾** وقوله في يوسف: **﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾** وقوله في داود: **﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾**، وقوله في نبيه محمد: **﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾**.

فقال مولانا الرضا عليه السلام: ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تأوّل كتاب الله برأيك، فان الله عزَّ وجلَّ يقول: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**.

وأمّا قوله عزَّ وجلَّ: فعصى آدم ربه فغوى، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق آدم حجة في ارضه، وخليفة في بلاده، ولم يخلقه للجنَّة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، لتتم مقادير أمر الله عزَّ وجلَّ، فلما أهبط إلى الأرض جعل حجَّة وخليفة عصم بقوله عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**.

وأمّا قوله عزَّ وجلَّ: **﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ...﴾**، انما ظن أن الله عزَّ وجلَّ لا يضيق عليه، ألا تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾**: أي ضيَّق عليه، ولو ظنَّ أن الله لا يقدر عليه، لكان قد كفر.

وأمّا قوله عزَّ وجلَّ في يوسف: **﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾**، فإنها همَّت بالمعصية، وهمَّ يوسف بقتلها ان أجبرته؛ لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله كذلك: لنصرف عنه السوء والفحشاء، يعني الزنا.

وأمّا داود... إنَّما ظنَّ أنَّ الله لم يخلق خلقًا هو أعلم منه، فبعث الله إليه الملكين، فتسوروا المحراب،

---

(١) الأحقاف:٣٥.

فقــالا: خصمــان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطـط واهدنا إلى سواء الصراط، إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب. فعجل داود على المدعي عليه، فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبـل على المدعى عليه فيقول ما يقول، فقال هــذه خطيئة حكمه لا ما ذهبتم إليه، الا تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾...

وأمّــا محمــد وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ**﴾، فإنَّ الله عزَّ وجــلَّ عــرَّفَ نبيَّه أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في الآخــرة، وأنهنَّ أمهات المؤمنين، وأحد من سُمــى له: زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى اسمها في نفسه ولم يُبدِه؛ لكيلا يقــول أحــد من المنافقين إنه قال في امرأة في بيت رجل أنهــا أحد أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ ما تولَّى تزويج أحدٍ من خلقه إلاّ تزويج حواء من آدم عليه السلام، وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمة من علي عليه السلام.

قال: فبكى علي بن الجهم، وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عزَّ وجلَّ أن أنطق في أنبيائه بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته».[٢]

(٢) قصص الأنبياء عليهم السلام - الجزائري - ص ١٣ - ١٥.

٥

الدرس الخامس

قصة النبي نوح عليه السلام

الدرس الخامس

قصة النبي نوح عليه السلام

نوح عليه السلام أول أولي العزم سادة الأنبياء، أرسله الله إلى عامة البشر بكتاب وشريعة فكتابه أول الكتب السماوية المشتملة على شرائع الله، وشريعته أول الشرائع الإلهية. وهو عليه السلام الأب الثاني للنسل الحاضر من الإنسان إليه ينتهي أنسابهم والجميع ذريته لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ**﴾[1].

وهو عليه السلام أبو الأنبياء المذكورين في القرآن ما عدا آدم وإدريس عليهما السلام قال تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ**﴾[2] وهو عليه السلام أول من فتح باب التشريع وأتى بكتاب وشريعة وكلَّم الناس بمنطق العقل وطريق الإحتجاج مضافاً إلى طريق الوحي، فله المنّة على جميع الموحدين إلى يوم القيامة، ولذلك خصّه الله تعالى بسلام عام لم يشاركه فيه أحد، فقال عزّ من قائل: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾[3]. وقد اصطفاه الله على العالمين (آل عمران: ٣٣) وعدّه من المحسنين (الأنعام: ٨٤، الصافات: ٨٠) وسمّاه عبداً شكورا (الإسراء:٣) وعدّه من عباده المؤمنين (الصافات: ٨١) وسماهُ عبداً صالحاً (التحريم: ١٠) وآخر ما نقلَ من دعائه قولُهُ: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾[4]

عبادة الأصنام

لقد كان قوم نوح على التوحيد ولكنَّ الشيطان زيَّن لهم عبادة الأصنام فقادهم لعبادتها وترك عبادة الواحد الأحد.

إنّ عبادة الله عزَّ وجلَّ هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وكانت البشرية ممّن يعبد الله وحده،

---

(١) الصافات:٧٧

(٢) الصافات:٧٨

(٣) الصافات:٧٩

(٤) نوح:٢٨

وقـد ورد في روايـات أئمة أهل البيت عليهم السلام إنَّ من هؤلاء قوم نوح وكان فيهم أولياء صالحون لهم المكانة والمقـام في نفوسهم، ولمّا توفاهم الله شقّ ذلك علـى النـاس فجاءهم إبليس لعنه الله وقال لهم: أتخذ لكـم أصنامـاً على صورهـم، فتنظرون إليهم، وتأنسـون بهم، وتعبدون الله، فأعدَّ لهـم أصناماً على مثالهم فكانوا يعبدون الله عزَّ وجلَّ وينظرون إلى تلك الأصنام، فلمّا جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنـام البيوت. فلـم يزالوا يعبدون الله عزَّ وجـلَّ حتى هلك ذلك القرن ونشـأ أولادهم فقالوا: إنَّ آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء، فعبدوهم من دون الله عزَّ وجلَّ.

لقـد تحوّلت الأصنام إلى أرباب تعبد وقد أطلقوا عليها أسماء متعددة هي أسماء الأولياء الصالحين الذيـن كانـوا فيهم؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَا تَـذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُـوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[٥].

صنم النفس

وبالإضافة لعبادة تلك الأصنام، برز نوع آخر من الأصنام أيضاً، وهي النفس والهوى التي منعتهم من اتباع دعوة نوح لهم إلى الحق، هذه الصفات الشيطانية التي قد يحملها الإنسان فتمنعه من الاهتداء لطريق الحق وسماع دعوة الأنبياء وقد حمل قوم نوح صفة من هذه الصفات كانت حجتهم في رفضهم لدعوة نوح إلى التوحيد، وهي صفة التكبر.

إنّ التكـبر صفــة شيطانيــة وهي تعني التعالي والتعاظـم على النـاس وهي من أكـبر موانع الإستجابة لدعوة الأنبياء وكل دعوةٍ حقة.

وتكبرهم كان على نوح عليه السلام تارةً، وعلى المؤمنين تارةً أخرى:

أمّا الأولى: فإن تكبرهم على نوح عليه السلام كان لأنهم كانوا لا يرون لنوح أي فضلٍ عليهم ليكون رسولاً لربِّ العالمين دونهم فقالوا كما ذكر القرآن الكريم: ﴿**فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ..**﴾[٦] .

وقـد أجابهـم نوح عليه السلام عن ذلك بقوله كما في الآية الكريمة: ﴿**قَالَ يَا قَـوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾[٧].

(٥) نوح:٢٣

(٦) هود:٢٧

(٧) هود:٢٨

فعجبهم بأنفسهم منعهم من الاستماع لنوح إذ لم يروا له أي فضل عليهم.

وهـذا النـوع من التكبر هو مـا يعتبره الإمام الخمينـي قُدِّسَ سِرُّه مـن التكبر على الأنبيـاء والرسل والأولياء، وكثيراً ما كان يحصل في زمن الأنبياء[1].

وأما الثانية: وهي تكبرهم على من آمن بنوح قالوا: **﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾**[2].

بـل وصـل بهم التكـبر بعد أن علموا بأن دعوة نـوح هي دعوة إلى الحق أن طلبوا منـه أن يطرد هؤلاء المؤمنـين فكان جواب نـوح عليه السلام لهم: **﴿..... وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ❖ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ❖ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[3].

لقـد تكرر الاحتجاج بهذه الحجة من قِبَل كلِ قومٍ رفضوا الإيمان، وكان جواب الأنبياء عليهم السلام رفض هذا المنطق من أساسه؛ لكسرِ هذه الفضائلِ الموهومةِ التي يراها هؤلاء لأنفسهم.

---

(١) الأربعون حديثاً، ص ٨٦.

(٢) هود:٢٧.

(٣) هود: ٢٩-٣٠.

٦

الدرس السادس

التكبّر على اللّٰه وأنبيائه وعباده

الدرس السادس

التكبر على اللّه وأنبيائه وعباده

التكبر

يعتبر التكبر من الآفات الخطيرة التي تصيب النفس الإنسانية، كما أن الشريعة نهت عنه في كثير من الآيات والروايات، وعن هذه الآفة الخلقية المعيبة لدين المرء، أفرد الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه حديثاً في كتابه «الأربعون حديثاً» وتحدّث عن منابعه وأصله ودرجاته، وخطورته على المؤمن.

وقد قسم درجات الكبر إلى أربعة درجات، يقول قُدِّسَ سِرُّه:

إعلم أنَّ للكبر، من منظور آخر، درجات:

الأولى: التكبر على الله تعالى.

الثانية: التكبر على الأنبياء والرسل والأولياء صلوات الله عليهم.

الثالثة: التكبر على أوامر الله تعالى، وهذا يرجع إلى التكبر على الله.

الرابعة: التكبر على عباد الله تعالى، وهذا أيضا يراه أهل المعرفة راجعًا إلى التكبر على الله[1].

وعن أهم عوامل الكبر يقول الإمام قُدِّسَ سِرُّه:

اعلم إنَّ من عوامل التكبر، فضلاً عمّا سبق ذكره من الأسباب، هو:

صغر العقل، وضعف القابلية، والضعة، وقلة الصبر.

فالإنسان لضيق أُفقه ما أن يجد في نفسه خصلة مميّزه حتى يتصور لها مقاماً ومركزاً خاصاً. ولكنه لو نظر بعين العدل والإنصاف إلى كلِ أمرٍ يتقنه وكلِّ خصلةٍ يتميز بها، لأدرك أن ما تصوره كمالاً يفتخر به ويتكبر بسببه، إمّا أنه ليس كمالاً أصلاً، وأمّا أنَّه إذا كان كمالاً فإنه لا يكاد يساوي شيئاً إزاء كمالات الآخرين، وأنَّه كمن صفع وجهه ليحسب الناس احمرار وجهه نتيجة النشاط والحيوية. كما قيل: «استَسمَنَ ذا وَرَمٍ»[2].

---

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه، الحديث الرابع، الكبر.

(٢) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه، الحديث الرابع، الكبر.

علاج الكبر:

وأمّا علاج الكبر فلا بد وأن يدرك المريض بهذا المرض سوء الحالة التي وصل إليها، وهي الحالة التي يتساوى فيها في الصفة مع الشيطان الذي تكبر على آدم عليه السلام، وبعد أن يدرك سوء الصفة والمتصف بها عليه أن يتأمل في الدنيا وأن يعلم أنه وبالقياس إلى الآخرين فإنّه ليس أفضل منهم، فهناك الكثيرون ممّن هم أهم منه وأكثر فائدة لأمتهم. وليتأمل الإنسان في الكثير من الآيات التي تحدث الله تعالى فيها عن المتكبرين وسوء العاقبة التي تنتظرهم، ولينظر في الأحاديث الكثيرة التي تشير إلى المتكبر بأنَّه لن يدخل الجنة، وليتأمل في ما قاله العلماء العظام في ذم هذه الصفة، فالإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه يقول مخاطباً الإنسان:

«فيا أيُّها العزيز! إذا كان التكبر بالكمال المعنوي، فقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام أرفع شأناً، وإذا كان بالرئاسة والسلطان، فقد كانت لهما الرئاسة الحقَّة. ومع ذلك، كانا أشدَّ الناس تواضعاً. واعلم أن التواضع وليد العلم والمعرفة، والكبر وليد الجهل وانعدام المعرفة، فامسح عن نفسك عار الجهل والانحطاط، وأتصف بصفات الأنبياء، واترك صفات الشيطان، ولا تنازع الله في ردائه - الكبرياء - فمن ينازع الحق في ردائه فهو مغلوب ومقهور بغضبه، ويُكَبُّ على وجهه في النار»[٣].

إبليس النموذج الأبرز لصنم التكبر

وأمّا أول من تكبر فقد كان إبليس حيث أمره الله عزَّ وجلَّ بالسجود لآدم فأبى تكبراً منه قال: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[٤].

وهذا التكبر من إبليس إنَّما نشأ من عدم الإيمان الحقيقي بالله عزَّ وجلَّ وهذا هو السبب في بطلان عبادته كلّها ولذا ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «... فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة»[٥].

ومن الكلمات المؤثرة للإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه في ختام حديثه عن علاج هذه الصفة الذميمة

---

(٣) المصدر السابق.

(٤) ص:٧٦.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

يقــول: «إنَّ الشيطــان لم يكن قد تكبّر على اللّه، بل على آدم وهو من مخلوقات الحق، فقال: (خَلَقْتَنِي مِـنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِـينٍ)، فاستعظم نفسه واستحقر آدم، وأنت تستصغر بني آدم وتستكبر بنفسك عليهم، فأنت أيضاً تعصي أوامر اللّه.

لقـد قال لك تعالى: كن متواضعاً مع عباد اللّه، ولكنــك تتكبر وتتعالى عليهم. فلماذا، تلعن الشيطان وحـده؟ أشـرك نفسـك الخبيثة معـه في اللعن أيضـاً، مثلما أنت شريكـه في هذه الرذيلـة. إنك من مظاهــر الشيطان، بل إنَّك تجسِّد الشيطان. ولربَّما كانــت صورتك في البرزخ وفي يوم القيامة صورة شيطانية»[1].

خلاصة الدرس

- أوّل أنبيــاء أولي العــزم هو نــوح وشرائعه أولى الشرائــع وهو أبو الأنبياء وأبــو البشر الثاني وقد وصفــه اللّه عزَّ وجلَّ بأفضل الصفات فقد اصطفاه على العالمين وسمّاه عبداً شكوراً وعبداً مؤمناً وعبداً صالحاً.
- -انحرف قوم نوح عن عبادة اللّه إلى عبادة الأصنام، والأصنام التي انقادوا إليها على نوعين:

1. الأصنام المادية وهي التماثيل التي صنعوها تخليدا لبعض أوليائهم كيغوث ويعوق ونسرا.
2. الأصنــام المعنوية وهــي خصال السوء وأهمها صفة التكبر فقد تكــبروا على نوح وأنكروا نبوته وتكبروا على من آمن مع نوح فاشترطوا على نوح أن يطردهم ليؤمنوا به.

- إنَّ إبليس هو أبرز مثال للمتكبرين حيث أدّى به تكبره إلى معصيته لأمر اللّه عزَّ وجلَّ له بالسجود لآدم.
- إنَّ علاج الكبر هو أن يدرك المريض به سوء الحالة التي وصل إليها، وهي الحالة التي يتساوى فيها في الصفــة مــع الشيطان الذي تكبر على آدم عليه السلام، وبعد أن يدرك ســوء الصفة والمتصف، وأنَّ التواضــع وليد العلم والمعرفة، والكبر وليد الجهل وانعدام المعرفــة، وأن يتأمل الإنسان في الآيات التــي تحدث اللّه تعــالى فيها عن المتكبرين وســوء العاقبة التي تنتظرهــم، ولينظر في الأحاديث الكثيرة التي تشير إلى المتكبر بأنه لن يدخل الجنة، وليتأمل في ما قاله العلماء العظام في ذم هذه الصفة.

---

(١) المصدر السابق.

أسئلة الدرس

١. *لماذا كان نبيُّ الله نوح أبو البشر الثاني؟*

....

....

٢. *ما المراد من الأصنام المعنويّة وهل تنحصر بصفة معينة؟*

....

....

٣. *كيف نعالج مرض التكبر؟*

....

....

٤. *ما هي درجات التكبر؟*

....

....

للحفظ

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ❖ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ❖ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ❖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ❖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ❖ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا﴾[٢].

(٢) الكهف: ٣٢ – ٣٧.

للمطالعة

عـن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قـال: عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائـة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، ومائتا سنة في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء، فمصر الأمصار، وأسكن ولده البلدان، ثم إنَّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس، فقال: السلام عليك. فرد عليه نوح، وقال له: ما جاء بك يا ملك الموت، فقال: جئت لأقبض روحك، فقال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظل؟ فقال له: نعـم: فتحـول نوح عليه السلام من الشمس إلى الظل، ثم قال: يا ملك المـوت، فكأن ما مرَّ بي في الدنيا مثل تحوّلي من الشمس، إلى الظل، فامض لما أمرت به. قال: فقبض روحه عليه السلام[1].

(١) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٦٠٢ - ٦٠٣.

٧

الدرس السابع

نوح عَلَيهِ السَّلَام والدعوة إلى الله

الدرس السابع

نوح عليه السلام والدعوة إلى الله

تحدث القرآن الكريم في مواضع عديدة عن رسالة نوح عليه السلام ودعوته إلى قومه ومدى صبر هذا النبي على الدعوة التي كانت من أكثر الدعوات الإلهية في امتدادها الزماني.

الإصرار على الدعوة

يحدثنا القرآن عن المدة الزمنية الطويلة التي لبث فيها نوح عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله عزَّ وجلَّ فيقول:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١]

وهذه المدة الزمنية كانت جهاداً دائماً من النبيِّ نوحد في الدعوة مع أنه قوبل بالإصرار على الكفر من قبل قومه، وقد لجأ إلى استخدام كل وسائل الدعوة التي كانت ممكنة له، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في كتابه الكريم: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ❖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ❖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ❖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ❖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾**[٢].

عِبر مستفادة من دعوة النبي نوحٍ عليه السلام:

العِبرة الأولى

إنَّ من يريد أن يدعو إلى الحق عليه أن لا يصاب بالملل والضجر، فإنَّه لن يصل في الدعوة إلى ما وصل إليه نبي الله نوح عليه السلام الذي أمضى الألف سنة إلاّ خمسين عاماً في دعوته لقومه لم يكل ولم يمل من دعوتهم إلى طريق الله رغم أنَّه لم يجد نتيجة بعد كلِّ هذه السنين.

---

(١) العنكبوت:١٤

(٢) نوح: ٥ – ٩.

العِبرة الثانية

إنّ عـدم ظهـور أثرٍ للدعوة وإصرار الآخريـن على الباطل لا يعني اليأس عـن دعوتهم إلى الحق، بل على الإنسان أن يستمر بكل طاقاته لأداء التكليف الإلهي الذي أنيط به، وبكل ما أعطاه الله من قوة.

العِبرة الثالثة

إنّ طريـق الدعـوة إلى الله عـزَّ وجـلَّ لا بـدَّ وأن ينطلـق دائماً من الحـوار الذي يعتمـد على المنطق والاستـدلال، ولذلـك نجد إنّ القرآن عندما يحدثنا عن قصة نـوح يحدثنا عن الحوار الذي دار بينه وبين قومه. فإنه مع وصفهم له بأنه في ضلال مبين قال لهم وبلين ومحبة أنَّه ليس على ضلال، بل على الحق وأنَّه لا يريد من دعوته لهم سوى ما به مصلحتهم.

﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

العبرة الرابعة

إنَّ مـن يريـد أن يدعـو إلى الله عـزَّ وجلَّ لا بـدَّ وأن يتحلَّى بالصـبر الشديد، فهذا نـوح اتّهمه قومُه بالجنون **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾**[٤].

وهـدّدوه بأن يرجموه **﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾**[٥]، فلم يمنعه تهديدهم بالتصفيـة الجسديـة، ولم يخف من مكائدهم، بـل صبر على أذيتهم إلى أن جـاء أمر الله تعالى في عذابهم.

صناعة الفلك

بعد هذه المدة الطويلة والصبر والثبات على الدعوة بقي قوم نوح على ضلالهم فدعا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه بالهلاك بعد استحقاقهم له، قال تعالى:

---

(٣) الأعراف: ٦٠ - ٦١.

(٤) المؤمنون:٢٥

(٥) الشعراء:١١٦.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ❖ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ❖ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً﴾[1].

وتشـرح لنا الآية بوضوح أنَّ سبب دعائه عليهم هو أنهم مضافاً إلى عدم استجابتهم للدعوة أصبحوا ممـن يضـل النـاس ويمنع من يميـل إلى الحق من الإيمان بدعوة نوح ولن يولد مـن نسلهم إلاّ من هو كافر.

واستجـاب الله دعـاء نـوح وكتب علـى القوم أن يكـون عذابهـم بالطوفان ولـذا وجّه أمـره إلى نوح بصناعـة السفينة قال تعالى: ﴿وَاصْـنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَـا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[2].

ولا بـدَّ وأن يكـون الموقف الطبيعي لهـؤلاء القوم الذين اتصفوا بمساوئ الأخـلاق هو الاستهزاء بنوح وبمـن معه: ﴿وَيَصْـنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَـرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَـخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْـخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ❖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[3].

ورحمـة النبـي بقومه تظهر حتـى بعد دعائه عليهم ورغـم استهزائهم به، ولذا لم يكـن في جوابه إلاّ الرحمة والإنذار لقومه بالعذاب الإلهي لعلَّ قلوبهم تلين للحق.

---

(١) نوح: ٢٦ – ٢٨.

(٢) هود: ٣٧.

(٣) هود: ٣٨ – ٣٩.

٨

الدرس الثامن

هلاك قوم نوح، والعِبر المستفادة

الدرس الثامن

هلاك قوم نوح، والعِبر المستفادة

الولد غير الصالح

لقد كتب الله عزَّ وجلَّ الهلاك على قوم نوح واستثنى من ذلك النبي وأهله حيث يقول تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾(1).

وامتثالاً لهذا الأمر الإلهيّ طلب نوح عليه السلام من أهله أن يركبوا سفينة النجاة من العذاب الإلهي إلاّ امرأته لأنَّ الله عزَّ وجلَّ استثناها بقوله **﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾**.

وقد قال تعالى في آية أخرى: **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾**(2).

ولكن التفت نوح عليه السلام ليجد ابنه في معزل لم يصعد إلى السفينة فناداه، والظاهر لم يكن هذا النداء منه إلاّ لأنَّه لم يكن يعلم أنَّ ابنه كان من غير المؤمنين، ولذلك قال له لا تكن مع الكافرين ولم يقل له لا تكن من الكافرين ولم يدعه نوح للركوب في السفينة لأنّه ابنه حتى مع علمه بكفره بل كان يظن منه الإيمان **﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾**(3) « ولكن ابن نوح كان يعلم من نفسه أنَّه كافر وأنَّه ليس من أهل السفينة فأجاب والده بقوله: **﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾**(4).

ولكن نوح عليه السلام توجّه إلى ربه بلهفة الوالد على ولده قال **﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي**

---

(1) هود:40

(2) التحريم:10

(3) هود:42

(4) هود:43

وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٥].

ولكن الجواب الإلهيّ جاء حاسماً **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[٦].

وكان التسليم من نوح عليه السلام حاسماً أمام الذات الإلهية فقال: **﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٧].

وفي قصة نوح عليه السلام مع ابنه دروس وعبر:

أولاً: إنَّ الولـد غير الصالح قد يأتي من بيئة صالحة، بل لربَّما كان والده نبياً، ولكن التكليف يشمل كلَّ إنسان، وكل إنسان يتحمل نتائج عمله.

ثانيـاً: إنَّ القضاء الإلهي إذا ابرم على الكافرين فلا تنفعهم الشفاعة، ولا تكون القرابة شفيعاً لهم أمام العذاب الإلهيّ الذي يستحقه الإنسان.

ثالثـاً: التسليـم أمام الأمـر الإلهي وإقرار الإنسان بجهلـه أمام العلم الإلهـي، والتسليم يعني عدم الإعتراض، والخضوع لكل ما يحكم به الله عزَّ وجلَّ.

نوح العبد الشكور

قال تعالى: « **﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾**[٨].

والشكور هو الإنسان الكثير الشكر.

وقـد ورد في الروايـات بيان هذه الصفة فعن أبي حمزة عن أبي جعفـر الباقر عليه السلام: قال: قلت: فما عنى بقوله في نوح "إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُورا"؟ قال عليه السلام: كلمات بالغ فيهن، قلت: وما هن؟ قال عليه السلام: كان إذا أصبـح قـال: أصبحت أشهدك مـا أصبحت بي من نعمة أو عافية في ديـن أو دنيا فإنها منك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد على ذلك، ولك الشكر كثيراً، كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً.

---

(٥) هود:٤٥

(٦) هود:٤٦

(٧) هود:٤٧

(٨) الإسراء:٣

صور الشكر

الشكر قد يكون باللسان وقد يكون بأشكال أخرى، يقول الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه في الأربعون حديث: «اعلم أنَّ الشكر عبارة عن تقدير نعمة المنعم. وتظهر آثار هذا التقدير في القلب في صورة، وعلى اللسان في صورة وفي الأفعال والأعمال بصورة ثالثة. أمّا آثاره القلبية فهي من قبيل الخضوع والخشوع والمحبة والخشية وأمثالها. وأمّا آثاره على اللسان فالثناء والمدح والحمد، وأمّا آثاره في الأعضاء فالطاعة واستعمال الجوارح في رضا المنعم وأمثاله»[1].

خلاصة الدرس

- لقد استمرت دعوة نوح إلى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً استخدم فيها كل الوسائل الممكنة له في الدعوة دون كلل أو ملل.
- إنَّ في قصة نوح عبرة لكل مبلِّغ بأنَّ عليه أن يصبر على الدعوة وأن لا يحصل له اليأس وأن يعتمد على الحوار والقول الحسن.
- إنَّ دعاء نوح على قومه إنما كان بعد أن وصل إلى أمرهم إلى الإفساد في الأرض والذي عبر عنه بقوله "لاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً".
- إنَّ العلاقة التي تفوق أي علاقة بين أبناء البشر هي علاقة الإيمان ولذا خاطب الله عزَّ وجلَّ نوحا لما سال عن ابنه بقوله إنه ليس من أهلك.

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، ص ٣١٨.

أسئلة الدرس:

١. ***هل يسقط واجب الدعوة إلى الهدى مع عدم استجابة الآخرين؟***

....

....

٢. ***بماذا قابل نوح إتهام قومه له بالجنون؟***

....

....

٣. ***لماذا وصف القرآن ابن نوح بأنه ليس من أهل نوح؟***

....

....

٤. ***لماذا كان نوحٌ عبداً شكوراً وما هي حقيقة الشكر؟***

....

....

للحفظ

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ❖ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ❖ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ❖ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ❖ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ❖ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ❖ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ❖ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[٢].

(٢) نوح: ٢١ – ٢٨.

للمطالعة

عن عبد السلام بن صالح الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قلت له: لأي علة أغرق الله عزَّ وجلَّ الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فقال: «ما كان فيهم الأطفال لأن الله عزَّ وجلَّ أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله عزَّ وجلَّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأما الباقون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه».[1]

(١) التوحيد - الشيخ الصدوق - ص ٣٩٢.

٩

الدرس التاسع

إبراهيم عليه السلام أول الموحدين

الدرس التاسع

إبراهيم عليه السلام أول الموحدين

أوصاف إبراهيم عليه السلام في القرآن

تكرر ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ما يقارب السبعين مرة، وذكره الله تعالى بأوصاف في العديد من آياته، فهو:

١. من آتاه الله رشده من قبل ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ﴾ [١].

٢. هو من اصطفاه الله تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ❖ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

٣. وهو الذي أراه الله ملكوت السموات والأرض ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣] . وهو خليل الله ﴿وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[٤].

٤. وهو الحليم الأواه المنيب ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[٥].

٥. وهو الإمام ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٦].

٦. وجعل النبوَّة في ذريته ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٧].

---

(١) الأنبياء:٥١

(٢) البقرة: ١٣٠ – ١٣١.

(٣) الأنعام:٧٥

(٤) النساء:١٢٥

(٥) هود:٧٥

(٦) البقرة:١٢٤

(٧) العنكبوت:٢٧

قصة التوحيد على لسان إبراهيم عليه السلام

يحدثنا القرآن عن إبراهيم عليه السلام وحواره مع قومه ودعوته لهم لتوحيد الله واعتماده على الاستدلال على ضرورة عبادة الله وحده، لأنه هو الغني عن العالمين وأما غيره من الأرباب المزعومين فإنهم ناقصون لا يملكون كمال الربوبية قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ❖ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ❖ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ❖ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ❖ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٨).

الآيات التالية تشرح لنا استدلال إبراهيم على قومه من أفول الكواكب والشمس على عدم صحة كونها آلهة من دون الله، فاتخذ معهم هذه المناظرة العملية التي توصلهم إلى اكتشاف الوهم الذي يعيشون فيه، فعندما غطى ستار الليل المظلم العالم كله، ظهر أمام بصره كوكب لامع وقد ورد في الروايات أنه كوكب الزهرة، ويطرح إبراهيم عليه السلام السؤال -منكرا ومستخبرا-: هل يكون هذا رباً؟ ولكنه إذ رآه يغرب، قال: لا أحب الذين يغربون، ومرةً أخرى رفع عينيه إلى السماء، فلاح له القمر في وسط السماء بضوئه المشع، ويعيد إبراهيم عليه السلام السؤال هل يكون هذا رباً؟ ولكن مصير القمر لم يكن بأفضل من مصير الكوكب من قبله، فقد اختفى وذهب نوره.

هنا قال إبراهيم عليه السلام: إذا لم يرشدني ربي إلى الطريق الموصل إليه فسأكون في عداد التائهين.

عند ذاك كان الليل قد انقضى، وطلعت شمس النهار، ولما رأى إبراهيم الشمس وغمره نورها الساطع أعاد السؤال ثالثة: هل يكون هذا رباً؟ فإنه أكبر وأقوى ضوءاً، ولكنه إذ رآها كذلك تغرب وتختفي في جوف الليل البهيم أعلن إبراهيم قراره النهائي قائلا: يا قوم! لقد سئمت كل هذه المعبودات المصطنعة التي تجعلونها شريكة لله، إن وراء هذه المخلوقات المتغيرة المحدودة الخاضعة لقوانين الطبيعة إلهاً قادراً وحاكماً على نظام الكائنات، فإني أتجه إلى الذي خلق السماوات والأرض، وفي إيماني هذا لن أشرك به أحداً، فإنّي موحدٌ ولستُ مشرك: إنّي وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين.

---

(٨) الأنعام: ٧٥ – ٧٩

وأما كيف يكون أفول هذه الكواكب دليلا على عدم صحة كونها رباً فهو:

أولاً: إنَّ اللّه المربي، كما يستفاد من كلمة «رب» لا بدَّ أن يكون دائماً قريباً من مخلوقاته وأن لا ينفصل عنهم لحظة واحدة، وعليه لا يجوز لكائن يغرب ويختفي ساعات طويلة، بنوره وبركته وتنقطع صلته كليا عن الكائنات الأخرى، أن يكون رباً وإلهاً.

ثانياً: إن كائنا يغرب ويبزغ ويخضع للقوانين الطبيعية، لا يمكن أن يحكم على هذه القوانين ويملكها؟ إنه هو نفسه مخلوق ضعيف يخضَّع لأوامرها وغير قادر على أدنى انحراف عنها.

١٠

الدرس العاشر

الدعوة إلى الله

الدرس العاشر

الدعوة إلى الله

انطلـق إبراهيم عليه السلام لدعوة قومه إلى توحيد الله عـزَّ وجلَّ، وقد خاض إبراهيم عليه السلام هذه الدعوة بمحاورة قومه وبيان بطلان ما يعبدونه من أصنام

ويحكي لنا القرآن الكريم عن حوارٍ ثلاثيٍّ خاضه إبراهيم عليه السلام:

أولاً: حواره مع النمرود

لقـد ادّعـى النمرود وهو من ملوك بابل الربوبية، ودعا النـاس إلى عبادته دون الله عزَّ وجلَّ، وتحدّاه إبراهيم عليه السلام وأثبت عجزه من أن يكون رباً.

التحدّي الأول:

فـأولاً: اعتمد إبراهيم عليه السلام علـى مسألة الموت والحياة التي تهم البشر جميعاً فقال له: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾، وأجابه النمرود ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾، فقد قام نمرود هذا باستخدام أسلوب الإيهام والمغالطـة لأن النـاس يستمعون إلى هذا التحدي الدائر بينه وبين إبراهيم عليه السلام، وكيف يثبت قدرته علـى الموت والحياة وهو عاجز، فكان لا بد مـن حيلة وكانت حيلته هي هذه: أن أمر بإحضار سجينين أطلـق سـراح أحدهما وأمر بقتل الآخر، ثم قـال لإبراهيم ولمن كان يشاهد ذلـك: أرأيتم كيف أحيي وأميت.

التحدّي الثاني:

ولكـن إبراهيم لم يرد أن يقف ليبين للنـاس كيف أوقعهم هذا الرجل في الخطأ، فتحداه بأمر آخر ﴿ **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** .....﴾[١].

وكانت نتيجة هذا التحدي، ﴿... **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ...﴾[٢].

---

(١) البقرة:٢٥٨

(٢) البقرة: ٢٥٨

ثانياً: حواره مع قومه

يحدثنا القرآن أيضاً عن حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه واعتراضه على عبادتهم للأصنام، وأمّا حجَّة قومه فقد كانت في غاية الضعف وهي إنَّ آباءهم كانوا كذلك وهنا يبطل إبراهيم هذه الحجة فإن الإنسان عليه أن يتبع الحق لا الآباء.

والرب الذي ينبغي أن يعبد هو الذي خلق الإنسان والذي إليه يعود أمر هذا الإنسان دون الأصنام سواء كانت أصنام من حجر يصنعها الإنسان بيده أو كانت أصناما بشرية أي من سائر أفراد البشر الذين لا يملكون حولاً ولا قوة، وإن تجبَّروا على الناس وتسلطوا عليهم.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ❖ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ❖ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ❖ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ❖ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٣).

ويبين إبراهيم عليه السلام بوضوح صفات الإله الذي ينبغي أن تكون العبادة له:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ❖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ❖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ❖ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ❖ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ❖ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ❖ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ❖ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ❖ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ❖ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ❖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ❖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ❖ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ❖ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(٤).

ثالثاً: حواره مع أبيه

الحوار الثالث الذي ذكره القرآن الكريم هو ما دار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر (وهو عمه حقيقة، واحتراماً له كان يناديه يا أبت) حيث إنَّ إبراهيم عليه السلام توجه بالنصيحة له:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ❖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ❖ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ❖ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ❖ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ

(٣) الأنبياء: ٥٢ – ٥٦

(٤) الشعراء: ٦٩–٨٢

عَـذَابٌ مِّـنَ الرَّحْمَـنِ فَتَكُونَ لِلشَّـيْطَانِ وَلِيًّا ❖ قَـالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَـنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيـمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ❖ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[١] .

وفي حوار إبراهيم تظهر الشفقة الشديدة على أبيه من العذاب الإلهي ولأجل ذلك أراد أن تكون هذه الشفقة عاملاً لتليين قلب أبيه لعل الهداية تجد طريقها إليه

ويعتمد إبراهيم عليه السلام أسلوباً للدعوة امتاز بعدة أمور:

أحدهـا: أنَّ هـذا المعبود الـذي يتوجه إليه آزر وقومه لا يسمع ولا يبصـر ولا يمكنه أن ينفع الإنسان بشيء وإذا كان كذلك فكيف يكون رباً يعبدُ من دون الله.

ثانيها: إنَّ فطرة الإنسان تقتضي أن يرجع الجاهل بأمرٍ ما إلى من يحيط علماً به وأن على الإنسان أن لا يتكبر على إتباع العلماء وان كانوا أصغر منه أو أقلَّ شأنا منه في سائر الأمور.

ثالثهـا: إنَّ دعوة الناس إلى الحق لا بـدَّ وان تتم دائماً بروح المحبة والشفقة، وهي سمة الأنبياء عليهم السلام وأنَّ مواجهـة أهـل الضلال مهما اشتـدَّت لا ينبغي أن تجعل الداعية إلى الحـق شخصاً قاسي القلب ولأجل ذلك خاطب إبراهيم أباه حتى بعد رفضه الشديد للحق بقوله سلامٌ عليك.

حسم الفساد أمر ضروري

لم تنفع دعوة إبراهيم مع أحد من قومه بل أصروا على كفرهم وكذلك ملكهم النمرود وأراد إبراهيم أن يُحـدث صدمـةً في نفوسهـم لعل الغشاء الـذي ملأ قلوبهم يـزول وتقبل نفوسهم الحـق. واستغل إبراهيـم فرصة انشغال قومه بعيدٍ لهم فذهـبَ إلى هذه الأصنام التي تعبد من دون الله **﴿فَـرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ❖ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ❖ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ❖ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ❖ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ❖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾**[٢] .

إذًا لا بـد مـن تحطيم هذه الأصنـام، ولكن لا بدَّ وأن يكون في تحطيمها فائـدة، ولذا فإن إبراهيم لم يحطمهـا ويلوذ بالفـرار أو يخفي ذلك، بل جاهرهم بحجته التي هـي في قناعة كل واحد منهم حجة صحيحة، إنهم حجارة عاجزة، ويمكن لأي إنسان أن يحطمها فكيف تكون إلهًا ورباً؟

---

(١) مريم: ٤١- ٤٧

(٢) الصافات: ٩١-٩٦

خلاصة الدرس

- وصف الله إبراهيم في القرآن بأنه من آتاه الله رشده واصطفاه ومن أراه ملكوت السموات والأرض وجعله إمامًا وجعل النبوة في ذريته.
- يسرد لنا القرآن استدلال إبراهيم على التوحيد من خلال إثبات أن كل ما عدا الله عزَّ وجلَّ لا يستحق العبادة لاتصافه بالنقصان.
- خاض إبراهيم حوارا مع أطراف ثلاثة:

أ. مع نمرود الذي كان يدعو الناس لعبادته وتحداه إبراهيم بأمرين لا يقدر عليها إلا الله وهما الموت والحياة وان يأتي بالشمس من المغرب فبهت الذي كفر.

ب. مع قومه حيث استدل لهم على بطلان عبادتهم للأصنام بأنها لا تملك لهم نفعا ولا ضراً.

جـ. مع أبيه حيث اثبت له بطلان عبادته للأصنام لأنَّ هذه العبادة هي من طاعة الشيطان وفيها العذاب الأليم.

- لمّا لم تنفع دعوة نوح لقومه كان لا بد حسم الفساد عبر تحطيم الأصنام.

أسئلة الدرس

١. *كيف اثبت إبراهيم عليه السلام عدم جواز عبادة الكواكب والشمس والقمر؟*

....

....

٢. *ما هو دليل إبراهيم عليه السلام على عدم كون نمرود إلها يستحق العبادة؟*

....

....

٣. *كيف حاور إبراهيم عليه السلام قومه وما هو دليله على عدم صحة عبادتهم؟*

....

....

٤. *لماذا قام إبراهيم عليه السلام بتحطيم الأصنام؟*

....

....

للحفظ

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [1].

(١) البقرة:٢٥٨

للمطالعة

عـن أبـي الصلت الهروي أنَّ علـي بن الجهم قال للإمــام الرضا عليه السلام: فأخبرني عــن قول الله عزَّ وجـلَّ في إبراهيــم: ﴿فَلَمَّـا جَـنَّ عَلَيْـهِ اللَّيْـلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي ..﴾[٢]، فقــال الرضا عليه السلام: «أن إبراهيــم عليه السلام وقع علــى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة، وصنــف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمســ، وذلــك حين خرج من السرب الــذي أخفي فيه، فلما جنَّ عليه الليـلُ رأى الزهرة فقال ربي -علـى الإنكار والإستخبار-، فلما أفل الكوكب قال لا أحـب الآفلين؛ لأنَّ الأفول من صفات الحدث، لا مـن صفات القـديم، فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي -على الإنـكار والإستخبار-، فلما أفل قال: لئـن لم يهدني ربي لأكونن من القــوم الضالين. فلما أصبح ورأى الشمســ بازغة قال: هذا ربي، هذا أكبر من الزهرة والقمر - على الاستخبار لا على الإخبار والإقرار-، فلما أفلت قال للأصناف الثلاثة مـن عبدة الزهــرة والقمر والشمس: إنّي بريءٌ ممّا تُشركون، إنّي وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرضـ حنيفاً ومــا أنا من المشركين، وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قــال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أنَّ العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالــق السماوات والأرضـ، وكان ما احتج به على قومه ممّا ألهمه الله عــزَّ وجلَّ وأتاه، وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه.[٣]

(٢) الأنعام:٧٦

(٣) قصص الأنبياء - الجزائري - ص ١٧ - ١٨.

١١

الدرس الحادي عشر

إبراهيم عليه السلام والاختبار الإلهي

الدرس الحادي عشر

إبراهيم عليه السلام والاختبار الإلهي

الذريَّة الصالحة

أمنيــة كل مؤمــن أن يهبه الله تعالى الذرية الصالحــة وكان إبراهيم عليه السلام ممن لم يرزقه الله الولد في بدايــة حياتــه لمشكلة في زوجه التي كانت عاقراً، وهنا التجأ إبراهيم عليه السلام إلى الله عزَّ وجلَّ الذي بيده كل الأمور واستجاب له الله عزَّ وجلَّ طلبه هذا فإبراهيم عليه السلام أراد ذرية صالحة ملتزمة مؤمنة وهذا من طلب الخير ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ❖ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ❖ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾[1].

البشرى لإبراهيم عليه السلام

وكانت البشرى الإلهية لإبراهيم هي أن رزقه الله إسماعيل من هاجر غير زوجته الأولى سارة، ووصف الله هــذا الولد بأنه غــلام حليم وهكذا كانت البشرى لإبراهيم هــي باستجابة الدعاء بأن وهبه الله الولد وكانت البشرى أيضاً بأنه كان غلاماً أي أنَّه ممن يصل إلى سنّ الشباب والفتوة وكانت البشرى بأنه حليم وهو الذي يضبط نفسه عند الغضب ويصبر.

وكتــب الله عزَّ وجلَّ لإبراهيم أيضاً أن يكــون كل أولاده هبة من الله عزَّ وجلَّ وأن تبشره الملائكة بهذه الهبــة الإلهية فقد وهبــه الله عزَّ وجلَّ غلاماً آخر هو إسحاق من زوجتــه الأولى وبعد أن كانت عاقراً ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ❖ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ❖ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾[2].

وقــد اقترنت هذه البشارة لإبراهيم بإسحاق بأنَّ إسحاق سيولد له ولد وهو يعقوب فهي بشارة بالولد وبالحفيد.

إنّ قصــة إبراهيم عليه السلام هذه تحكي عن اللطف الإلهي بعباد الله الصالحين لأن إبراهيم عليه السلام كان

---

(١) الصافات: ٩٩ - ١٠١.

(٢) هود: ٧١ - ٧٣.

شيخاً كبير السنّ وزوجته كانت عاقراً، ولكن الله كتب له الولد الصالح فلا ينبغي للإنسان أن يحترز عن التوسل إلى الله في قضاء أي حاجة يطلبها ومن الخطأ الفادح أن يتوهم الإنسان أن الله يعجز عن الاستجابة له لأنه القادر على كل شيء.

وفي آية أخرى يحدثنا القرآن عن هذه البشارة فيقول: ﴿ **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ❖ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾[٣].

استجابة الدعاء إنما تكون عن حكمة وعلم

وقد ورد في آخر الآية أنَّ الاستجابة إنما تكون عن حكمة وعلم فهي لا تصدرُ لمجرد دعاء الإنسان وطلبه أمراً من الله بل لا بدَّ وأن يكون في ذلك حكمة للعبادة ومصلحة لهم.

وفي الرواية قال أحدهم للرضا عليه السلام جعلت فداك إنّي قد سألت الله تبارك وتعالى حاجة منذ كذا وكذا سنة، وقد دخل قلبي من إبطائها شيء فقال عليه السلام: «يا أحمد إيّاك والشيطان أن يكون له عليك سبيلاً حتى يعرضك، إنّ أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: إنّ المؤمن يسأل الله الحاجة فيؤخر عنه تعجيل حاجته حباً لصوته، واستماع نحيبه ثم قال: والله لما أخر الله عن المؤمنين مما يطلبون في هذه الدنيا خير لهم ممّا عجل لهم منها، وأي شيء الدنيا؟ إن أبا جعفر كان يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه في الشدة، ليس إذا ابتلى فتر، فلا تمل الدعاء (فإنه) من الله تبارك وتعالى بمكان»[٤].

الاختبار الإلهي بعد البشارة

إنّ التكليف الشرعي بالنسبة للمؤمن هو الهدف الذي يسعى دائماً إلى تحقيقه، لأن في مقابل الالتزام الكامل به رضا الله سبحانه وتعالى.

وقد يكون التكليف الشرعيّ في بعض الأحيان مخالفاً لمزاج الإنسان وهواه، وهنا تكون الفرصة السانحة التي لا يحب الشيطان أن يفوتها، فيدخل على الخط ليحاول ثني الإنسان عن أداء هذا التكليف إما من خلال تثبيط عزيمته أو بتحريك هوى النفس الأمّارة بالسوء باتجاه رغباتها وبالتالي ترك التكليف.

---

(٣) الذاريات: ٢٩-٣٠

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٩، ص٣٦٧.

وفي هذه الحالة يكون الأمر ابتلاءاً وامتحاناً من اللّه تعالى لعبده، وهذا الامتحان من اللّه تعالى للعباد يختلف من شخص لآخر، وبحسب قدرة كل إنسان على التحمل، ولذا يختلف امتحان الأنبياء عليهم السلام عن امتحان سائر البشر لتفاوت القدرات بينهم.

لقد كان التكليف الإلهي الذي اختبر به اللّه عزَّ وجلَّ خليله إبراهيم عليه السلام عظيماً، وعظيماً جداً إنه أمرٌ قد يسقط في الالتزام به الإنسان العادي والذي لم يصل إلى المقام الإيماني العظيم الذي وصل إليه النبي إبراهيم عليه السلام، فأي بشر يحتمل أن يذبح ولده فقط طاعة للّه ولأن اللّه أمره بذلك دون أن يعرِّفه سرَّ ذلك.

هنا كان الموقف الكبير والقرار الذي لا مداهنة فيه، وهو الانقياد التام لأمر اللّه تعالى والطاعة والتسليم، فيقود ولدهُ نحو المذبح هذا الولد الذي جاءه بعد دعاءٍ استجابهُ اللّه تعالى له، ولكن إذا كان اللّه هو الذي أعطى فله كل شيء وعلى إبراهيم عليه السلام أن يطيعه.

الانصياع لطاعة اللّه من الأب والابن، واجتياز الامتحان:

وتتجلى الطاعة عند إسماعيل عليه السلام هذا الفتى الذي خاطب أباه بالطاعة، مشهد رباني حدثتنا عنه الآيات الكريمة:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

ليس مناماً عابراً إنها رؤيا من نبي فهي أمر إلهي وتكليف ربّاني.

وأما الطاعة فإنها أرقى من مجرد أن يقوم إبراهيم بعملية الذبح إنها حالة التسليم، أي الخضوع والخشوع وتقبل الأمر، فهو يقبل على عملية ذبح ولده وهو على قناعة تامة بأنَّ ذلك الطلب الإلهي لا مجال فيه للشك أو السؤال **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾**[2] . عندما أسلم إبراهيم وإسماعيل للأمر وجلس الولد في المذبح واستلَّ الوالد سكينه دون اضطراب أو قلق إنها الطاعة ،ولكن النداء الإلهي جاءه:

---

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) الصافات:١٠٣.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ❖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ❖ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ❖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ❖ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ❖ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

لقد تحقق المطلوب واجتاز إبراهيم عليه السلام الامتحان وأظهر التسليم التام أمامَ الأمرِ الإلهي، فأتى أمر الله تعالى بعد أن علم صدقه وتسليمه بأن يذبح الكبش (الفداء) بدل ولده وبهذا استحق إبراهيم عليه السلام أن يكون من المحسنين والمؤمنين واستحقَّ مقام الإمامة الإلهية.

وكانت سنّة إبراهيم هذه في ذبحه للفداء أمراً إلهيا بالتضحية على كلِّ من حج بيت الله الحرام تذكيراً لهذا الإنسان بالموقف العظيم لنبيٍّ من أنبياء الله العظام عليهم السلام.

لقد قص القرآن الكريم هذه القصة ليبين للمسلمين أهمية الطاعة للتكليف الإلهي والتسليم أمامه وأنَّ على الإنسان أن لا يختلق المبررات لمخالفة أي تكليف طلبه الله تعالى منه.

خلاصة الدرس

- بعد أن وجد إبراهيم إعراض قومه عنه أعرض عنهم واتجه إلى ربه بالدعاء أن يهبه الذرية الصالحة فوهبه الله إسماعيل من هاجر ولم يكن طلب إبراهيم لمجرد رغبة في الذرية بل أراد الذرية الصالحة، كما وهبه الله عزَّ وجلَّ على كبر إسحاق.
- قضت الحكمة الإلهية أن يمر الأنبياء بأنواع من الامتحانات لينالوا بذلك الدرجات الرفيعة وأعظم امتحان إلهي لإبراهيم عليه السلام كان أمره بذبح ولده إسماعيل وكان موقفه التسليم أمام الأمر الإلهي والتسليم هو الإتيان بالعمل مع القناعة التامة والخضوع القلبي.

---

(٣) الصافات: ١٠٤ - ١١١.

أسئلة الدرس

١. *كيف يكون طلب الأنبياء للذرية؟*

....

....

٢. *ما هي فائدة ابتلاء الأنبياء بأنواع البلاء؟*

....

....

٣. *ما هو معنى التسليم؟*

....

....

٤. *لماذا سرد القرآن الكريم قصة الذبح؟*

....

....

للحفظ

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ❖ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ❖ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ❖ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ❖ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[١].

---

(١) الأنعام:٧٥ – ٧٩.

للمطالعة

في الحديث أنَّ إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً، فقال له: من أنت؟ قال أنا ملك الموت، قال تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض بها روح المؤمن؟ قال نعم، أعرض عني، فاعرض عنه، فإذا هو شاب حسن الصورة حسن الثياب حسن الشمائل طيب الرائحة، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلاَّ حُسنَ صورتك لكان حسبه، ثم قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض بها روح الفاجر؟ فقال: لا تطيق، فقال بلى، قال فاعرض عني، فاعرض عنه، ثم التفت إليه، فإذا هو رجل أسود قائم الشعر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من فيه ومن مناخيره النيران والدخان. فغشي على إبراهيم عليه السلام، ثم أفاق، وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجرُ إلاّ صورتك هذه لكفته[٢].

(٢) قصص الأنبياء - الجزائري - ص ١٣٥.

١٢

الدرس الثاني عشر

موسى عَلَيهِ السَّلَام كليم الله

الدرس الثاني عشر

موسى عليه السلام كليم الله

موسى عليه السلام والانتصار للحق

اعتنى القرآنُ الكريم بذكر قصة نبي الله موسى عليه السلام لما في قصة هذا النبي من دروسٍ وعبر، خصوصاً مع ما واجهه وعاناه من بني إسرائيل.

لقد كان هذا النبي محلاً للعنايةِ الإلهيةِ منذ أن وضعته أمُّه وألقته في اليم بإلهام من الله، وتربَّى عند عدوه فرعون، وكانت عناية الله تعالى به أنَّه ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1].

وقد خصّه الله عزَّ وجلَّ بالحكمة والعلم ومن يتصف بذلك لا بدّ وأن ينطلق في كل عملٍ يقوم به ضمن ما يريده الله عزَّ وجلَّ ومنها نصرة المظلوم، لقد دخل موسى إلى المدينة (مصر)، هذه المدينة التي كان قوم موسى وهم بنو إسرائيل يعانون أشدَّ أنواع العذاب والظلم من فرعون وجنوده، ويصادف دخول موسى عليه السلام مع قيام عراك بين شخصين أحدهما من بني إسرائيل والآخر من جماعة فرعون، وورد أنَّه كان طباخاً لفرعون وكان يُكره الإسرائيلي على حمل الحطب معه إلى قصر فرعون وهنا لما رأى هذا الإسرائيلي موسى وعرفه استنقذه، ومن الطبيعي أن يتدخل موسى فالذي استصرخه رجل مظلوم، فأقبل موسى لنصرته وقتل الذي من أصحاب فرعون.

النبي موسى لم يعصِ الله:

وما قام به موسى عليه السلام هنا لم يكن معصيةً على الإطلاق لأنّ ذلك الرجل كان يستحق القتل ولأنَّ موسى عليه السلام إنّما فعل ذلك دفعاً لظلمه وفساده، ولكن ذلك لم يكن لمصلحة موسى، لأن هذا الفعل سوف يؤدي إلى إيقاعه في مشاكل لا يريد موسى عليه السلام الدخول فيها وهو يبحث عن طريق الخلاص لقومه من ظلم فرعون.

﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ**

---

(١) القصص:١٤

عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

ولكـن مجرد كـون موسى قد استعجـل بقتله للرجل لا يعنـي إطلاقاً أن نصرته للمظلـوم كانت خطأً ولذلك قال موسى بعد ذلك: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾[٣].

إذاً لا يصـح علـى الإطـلاق أن يكـون الإنسان ممـن يقدم المعونـة للمجرمين وهذه المعونـة قد تكون بالتقصير في نصرة المظلوم.

الإمام الرضا عليه السلام يشرح موقف النبي موسى عليه السلام:

وقـد ورد في روايـة عن الإمام الرضا عليه السلام ما يشرح به هذه الآيات عندما سأله المأمون عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَـى فَقَضَـى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ فقال عليه السلام: «إن موسى دخل مدينـه من مدائن فرعون على حين غفلـة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء ﴿**فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾، فقضى موســى على العدو، وبحكم الله تعـالى ذكره ﴿**فَوَكَزَه**﴾ فمات ﴿**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّـيْطَانِ**﴾ يعنى الاقتتـال الـذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعلـه موسى عليه السلام من قتله (إنه) يعنـى الشيطان ﴿**عَدُوٌّ مُضِـلٌّ مُبِين**﴾، فقال المأمون: فما معنى قول موسى ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِـي فَاغْفِرْ لِي**﴾ قال: يقول: إني وضعـت نفســي غير موضعها بدخولي هــذه المدينة ﴿**فَاغْفِرْ لِي**﴾، أي اسـترني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني.

موسى ودعوة فرعون إلى الحق

يحدثنـا القرآن الكريم عن فرعـون وفساده، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٤].

مثل هذا الإنسان كان على موسى أن يدعوه إلى الإيمان بالله والطاعة له، وهذا أمر ليس يسيراً، ولكن الله الذي اصطنع موسى لنفسه مكّنه من التصدي لهذا الأمر ولذا أمره بالذهاب إلى فرعون لدعوته

---

(٢) القصص: ١٥ – ١٦.

(٣) القصص:١٧

(٤) القصص:٤

إلى الإيمان،

الخطوة الأولى في دعوة النبي موسى عليه السلام لفرعون:

وكانت الوصية الإلهية لموسى أن تكون خطوته الأولى في الدعوة تعتمد على القول اللين: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❖ فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ❖ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ❖ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ❖ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**﴾[1].

انه المنطق الذي يعتمد اللغة الهادئة في الدعوة والتذكير بالله عزَّ وجلَّ وأن السلام إنما يكون لمن اتبع الهدى.

الخطوة التالية:

وأما الخطوة التالية فهي الآية أي الدليل على صدق مقولة موسى بأنه مرسل من الله، وهي العصا المعجزة، وقد طلب فرعون الدليل وأخرج موسى له الدليل ﴿**قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ❖ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ❖ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ**﴾[2].

تحدّي فرعون لموسى والافتراء عليه:

ولا مجال لفرعون أمام ما رآه من تحدٍّ إلا أن يكمل التحدي لأن إيمانه بما جاء به موسى يعني نهاية كل هذا التسلط والتجبر، وهذا أمر لا يمكن لفرعون الطاغي أن يفعله، ولأجل أن لا يتأثر من كان حاضراً في مجلس فرعون بمعجزة موسى خاطبهم فرعون بتحذيرهم من موسى عبر اتهامه بالسحر تارة وبالجنون أخرى، وهذه عادة الطغاة إذا جاءهم الرسول من ربهم.

﴿**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ❖ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ❖ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ❖ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ❖ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ❖ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ❖ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ❖ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ❖ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا**

(١) طه: ٤٣ – ٤٧.

(٢) الأعراف: ١٠٦ – ١٠٨.

تَأْمُرُونَ﴾[٣].

وكان الاتفاق على يوم التحدي وأن يكون في يوم عيد القوم لأن موسى عليه السلام أراد أن يستغل فرصة اجتماع الناس لتصل دعوته إلى مسامع أكبر عدد منهم.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى × قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[٤].

يوم الزينة والانقلاب على فرعون

لقد بذل فرعون كل جهده لتكون الغلبة له على موسى، ولعله كان يعتقد بذلك ويتيقن به، ولذا جمع الناس لمشاهدة هذا الأمر، وكذلك قام بالبحث عن كل ساحر في المدن والبلاد حتى وصفه الله عزَّ وجلَّ بقوله: **﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾**[٥] .

ولم يكن ذلك من فرعون إلا لأنه كان يرى انه ﴿ .... **قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾**[٦].

وهنا يعتمد موسى على تحذير السحرة الذين غرَّر بهم فرعون وتخويفهم من عذاب الله لأنهم يتحدون رسوله: "﴿ **قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾**[٧].

ولكن فرعون كان قد حذرهم من موسى محولاً المسألة إلى مصالح الناس جميعاً لأن في انتصار موسى هزيمة القوم وإخراجهم من أرضهم وأن تزول كل تقاليدهم وأعرافهم ومقدساتهم وديانتهم الوثنية ﴿ **قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾**[٨] .

وهكذا انتقلت المسألة إلى المواجهة الفعلية، وفعلاً لقد أثَّر فعل السحرة في النفوس **﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا**

---

(٣) الشعراء: ٢٧ - ٣٤.

(٤) طه: ٥٨ – ٥٩.

(٥) طه:٦٠

(٦) طه:٦٤

(٧) طه:٦١

(٨) طه:٦٣

سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ولكن الله عزَّ وجلَّ كان في نصرة نبيّه موسى وثبت فؤاده: **﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ❖ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾**[2].

وهكذا انتصر موسى وحدث الانقلاب على فرعون

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[3].

وإيمـان السحـرة أوجد هزة قوية في النفوس لأن إيمانهم إقرار منهم بأن ما جـاء به موسى لم يكن سحراً مما يتقنون صنعه، بل كان معجزة إلهية. ولذا عاقبهم فرعون بأشد أنواع العقاب.

﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4].

الدروس المستفادة من قصة موسى:

١. إن الخطوة الأولى في الدعوة لا بد وان تعتمد على بيان الحق لأن العاقل يتبع الحق إذا وصل إليه.

٢. إن علـى الداعيـة أن يكـون ذا قدم راسخـة في الدعـوة وأن لا يضعف أمام أي تهويـل قد يعتمده الضالون، ولذا تجرأ أهل الضلال على اتهام الأنبياء عليهم السلام بالسحر والجنون ولكن ذلك لم يضعف من عزيمة الأنبياء في الدعوة إلى الحق.

خلاصة الدرس

- لقـد كان نبـي الله موسى محلاً للعناية الإلهية منذ اليوم الأول لـه في هذه الدنيا حيث أنجاه من القتل.
- اضطـر موسـى إلى مغـادرة مصر لمـا انتصر لمظلوم من بنـي إسرائيل استنجـده على رجل من أصحاب فرعون كان يتسلط عليه، ولم يكن فعل موسى هذا فعلاً محرماً لأن المقتول كان مستحقاً للقتل.
- اعتمد موسى على دعوة فرعون إلى الحق على أسلوب الحوار الهادئ والقول الليّن ولمّا لم يجد منه

(١) الأعراف:١١٦

(٢) طه: ٦٨ – ٦٩.

(٣) طه:٧٠

(٤) الأعراف:١٢٤

استجابة تحدّاه بالمعجزة الإلهية (العصا).

- آمن السحرة بمجرد أن رأوا معجزة موسى عليه السلام لأنهم علموا أن ما جاء موسى لم يكن من صنع البشر، وأحدث إيمانهم هزة في النفوس ولذا عاقبهم فرعون أشد العقاب.
- الدروس المستفادة من قصة موسى هي أن على الداعي اعتماد الحوار الهادئ في الدعوة والإتيان بالأدلة والبراهين على صدق الدعوة، وأن لا يضعف ويصاب بالوهن عند اتهامه من قبل الآخرين ومحاولة تفريق الناس عنه.

أسئلة الدرس

١. ***كيف فسر الإمام الرضا عليه السلام قصة قتل موسى عليه السلام للرجل القبطي؟***

....

....

٢. ***ما هي فائدة اعتماد القول اللين في الدعوة إلى الله؟***

....

....

٣. ***هل من الضروري أن تقترن الدعوة بالدليل والبرهان؟***

....

....

٤. ***لماذا بادر السحرة إلى الإيمان بموسى عليه السلام مباشرة؟***

....

....

للحفظ

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ❖ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ❖ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ❖ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ❖ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] ..

للمطالعة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[2].

قارون من قوم موسى وقد قيل إنَّه من أرحامه... كان رجلاً فقيراً يعيش مع بني إسرائيل كما يعيشون الفقر والمذلة ولكنه يملك عقلاً اقتصادياً كبيراً... إنه سعى بلباقة وتقرّب من فرعون حتى احتلّ عنده مرتبةً عالية... قرّبه فرعون إليه وأدناه منه ليستفيد منه في قمع بني إسرائيل.

نظر فرعون وقارون إلى موسى نظرة عداء.. لقد أضر بهما جداً... إنهما تحالفا على قهر بني إسرائيل وإذلالهم وموسى يريد أن يحررهم ويطلق سراحهم.

لقد رأى (قارون) بأم عينيه كيف تتناقص شعبيته يوماً بعد يوم بل تتآكل وتزول.

لقد فكّر طويلاً وفكّر معه مستشاروه وبطانته وقد يكون فرعون وحاشيته قد اشتركوا في هذا التفكير... وحاكوا مؤامرة للإيقاع بالنبي موسى عليه السلام، وإسقاطه من أعين الناس.

فبذلوا لعاهرةٍ قدراً يرضيها من المال ثم دفعوها لتقر على موسى عليه السلام بأنه قد مارس معها الفاحشة وبهذا الإقرار يسقط موسى من أعين بني إسرائيل ونفوسهم وينفضون عنه ويتخلون عن دعوته.

(١) القصص: ٧٩ – ٨٣

(٢) الأحزاب:٦٩

وأمام بني إسرائيل وفي مجتمع عام يحضره موسى ويحضره قارون وأصحابه يتوجه سؤال إلى موسى عن جريمة الزنا وعقوبتها، فيجيبهم موسى بحرمة هذا الفعل ومن ارتكب الزنا حده الرجم إن كان محصناً، فقال المتآمرون عليه: وإن كنت أنت يا موسى؟ قال: وإن كنت أنا.

عندها صرخ بعضهم: إننا نعرف أنك ارتكبت هذه الفاحشة بفلانة. ثم أرسلوا خلفها لأداء شهادتها مقابل ما اتفقوا معها..

جاءت المرأة لتشهد زوراً وبهتاناً على نبي هو أطهر الناس وأعفهم...

دخلت وقبل ان تتكلم توجه إليها موسى وقال لها: "نشدتك بالله إلاّ ما قلت الحق" فتغير وضع المرأة لهذه المناشدة ولم تقدر أن تكتم الحقيقة بل أعلنتها أمام بني إسرائيل وفي المجتمع العام قائلة لهم: إنَّ هؤلاء قد أغروني بالمال لأتهمك ولكن أشهد أنَّك طاهر بريءٌ ونبيٌّ كريم..

ولكن هذه الأذية لموسى لن تمرَّ دون عقاب لمن سببها وتآمر على إخراجها وأهان نبياً عظيماً من أنبياء الله فكان عقوبته أن خسف الله به الأرض في هذه الدنيا.[٣]

---

(٣) الأصدق في قصص الأنبياء، ص ٢٨٢، عباس علي الموسوي.

١٣

الدرس الثالث عشر

موسى عليه السلام وبنو إسرائيل

الدرس الثالث عشر

موسى عليه السلام وبنو إسرائيل

١. ميلهم لعبادة الأصنام

لقد عانى نبينا موسى عليه السلام من قومه، وهم بنو إسرائيل، أكثر مما عانى من فرعون وقومه. فرغم المنن الإلهية المتتالية على بني إسرائيل وأعظمها ذلك التدخل الإلهي في شق البحر لئلا يدركهم فرعون كانت طبيعتهم تميل إلى الانحراف عن الحق والتعلق بالماديات، ولذا فإنَّهم بمجرد خروجهم من محنة فرعون ونزول النعم الإلهية عليهم يطلبون من موسى أن يكون لهم آلهة أصنام: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ..**﴾[1].

إنه طلبٌ يتسم بالجرأة الشديدة على رسول الله موسى عليه السلام إذ يطلبون عبادةَ غير الله ويطلبون من موسى أن يجعل لهم هذا الإله.

لقد كانوا يميلون إلى الماديات وكانوا يتصورون أن الله ذا جسمٍ كالإنسان وكانت عشرتهم الطويلة للوثنيين من قوم فرعون قد أثرت في نفوسهم.

وقد حذَّرهم موسى عليه السلام من مفاسد هذا الطلب وأوضح لهم أن ما رأوه من عبادة هؤلاء الجماعة هو باطل وهالك، وأن الذي أوصل بني إسرائيل إلى هذا الطلب ليس هو سوى جهلهم بخالقهم وذكَّرهم بالنعم التي أنعمها الله عليهم والتي تعجز هذه الآلهةُ عن فعل أي شيء منه: ﴿... **قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ❖ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ❖ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ❖ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾[2].

<u>وتكشف لنا قصة بني إسرائيل هذه عن أمور:</u>

<u>الأول:</u> إنَّ الإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به، ولذا كان من الواجب على المسلمين محاربة كل أنواع

---

(١) الأعراف:١٣٨

(٢) الأعراف: ١٣٨ – ١٤١.

الفساد الإجتماعي لا سيما الذي يأتي من بلاد الغرب إلى بلاد المسلمين ليفتن أهلها عن الحق ويزيّن لهم المفاسد في نفوسهم.

الثاني: إنَّ الإنسان إذا أحيط بالنعم الإلهية فإن واجبه أن يزيد من عبادته لربه وأن يحذر من أن يصاب بالغرور فيضلّ ويشقى.

الثالث: إنَّ من أهم أسباب الإنحراف هو الجهل، وعلى الإنسان أن يسعى لتعلم أصول دينه ومعالم عقيدته لتكون له القدرة على مواجهة الشبهات التي يصطدم بها.

٢. حب الشهوات، وكفران النعمة

بعد أن أنجى الله بني إسرائيل من فرعون أغدق عليهم نِعَمه الإلهية عناية منه بهم لما لاقوه من عذابٍ على يد فرعون ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[٣].

لقد كانوا يعيشون في نعم الله التي خصهم بها ولكن ميل بني إسرائيل إلى الشهوات جعلهم يتذمرون من هذه النعمة ويبحثون عن أشياء هي اقل بكثير من هذه النعم إنهم يبحثون عن الطعام الذي اعتادوا عليه أيام ذلهم واستعباد فرعون لهم: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ...**﴾[٤].

لقد تخلوا عن النعمة، وهذا نوع من الكفر بالنعمة تلبس به بنو إسرائيل، واستجاب الله عزَّ وجلَّ لهم هذا الطلب بعد أن أنّبهم موسى عليه السلام على ذلك ولكن هذا الطلب لا يمكن أن يتم وهم يعيشون في أمان، بل إن هذا النوع من الحياة المادية المبنية على الشهوة والتي كان يسعى إليها بنو إسرائيل سوف تنقلهم من حياة العزِّ والكرامة إلى حياة الذلِّ والمهانة: ﴿... **قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ**

---

(٣) البقرة:٥٧

(٤) البقرة:٦١

يَعْتَدُونَ﴾[١].

عدم الشكر يسلب النعمة:

توضح لنا هذه الآية الكريمة أن الإنسان الذي يعطيه الله عزَّ وجلَّ نعمة من النعم إذا لم يرض بها وأراد أن يعيش في حياة أخرى لاعتقاده أنها الأفضل نتيجة جهله فإن الله سوف يسلب منه هذه النعمة، والنعم إنما تستمر على الإنسان إذا عرف قدرها وتوجه إلى الله عزَّ وجلَّ بالشكر له عليها.

٣. التخلف عن فريضة الجهاد

من الأمور التي وقع بها بنو إسرائيل ميلهم إلى الراحة والكسل، حتى وصل بهم الأمر إلى عدم قيامهم بأداء فريضة الجهاد، رغم دعوة نبي الله لهم ورغم كون الجهاد دفاعاً عن أرض كانت لهم وقد سلبها منهم قومٌ آخرون.

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ❖ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ❖ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ❖ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ❖ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٢].

ومع أن نبياً مرسلاً من الله عزَّ وجلَّ كان إلى جانبهم يرعى أمورهم ومصالحهم ومع تحذيره لهم من مساوئ التخلف عن الجهاد ووعده لهم بأن النصر سوف يكون حليفهم بمجرد قيامهم بأداء واجبهم، إلا أنهم لم يقدموا على الجهاد بل اتسم جوابهم بالوقاحة والجرأة الكبيرة، فطلبوا من موسى أن يذهب ليقاتل هو وربّه وأنَّهم هاهنا قاعدون.

وعقابهم كان شديداً جداً، إنه التيه وهو أعظم ما ابتلي به بنو إسرائيل.

إنَّ ما جرى على بني إسرائيل كان سنّة من السنن الإلهية، يجري على كلِّ أمَّةٍ تتخلف عن الجهاد

(١) البقرة:٦١.

(٢) المائدة: ٢١ - ٢٦.

والقتال وتتذرع بأي حجة من الحجج، وإن المصير النهائي لهذه الأمم هو حياة الذلّ والهوان.

وقد ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصَّةِ أوليائِه - إلى أن قال: - هو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء...[٣].

فتنة السامري

لقد كان بنو إسرائيل ضعاف الإيمان فبعد طلبهم الأول من موسى عليه السلام أن يصنع لهم أصناما آلهة ليعبدوها وتحذيره لهم، كانت فتنتهم الثانية التي حصلت بغياب موسى عليه السلام عنهم وقصة ذلك أن رجلاً منهم يسمى السامري جمع ما كان لدى بني إسرائيل من ذهب الفراعنة ومجوهراتهم، وصنع منها عجلاً له صوت خاص (خوار)، ودعا بني إسرائيل لعبادته. فاتَّبعه أكثر بني إسرائيل، وبقي هارون - أخو موسى وخليفته - مع أقلية من القوم على دين التوحيد، وحاول هؤلاء الموحدون الوقوف بوجه هذا الإنحراف فلم يفلحوا، وأوشك المنحرفون أن يقضوا على حياة هارون أيضاً، فما هو سبب الانحراف هذا بعد كل الآيات التي أظهرها لهم الله تعالى ورأوها بأعينهم؟

إنَّه الضعف في العقيدة والجهل الذي أدى بهم إلى ترك ديانة التوحيد وهو امتحانٌ واختبارٌ لهم من الله عزَّ وجلَّ لأن الإيمان الصحيح والقوي يصمد أمام هذا النوع من الامتحان، وأما الإيمان الضعيف فإنه سوف ينهار أمام أضعف الشبهات وهذا ما حصل مع بني إسرائيل.

﴿**أَلْقَى السَّامِرِيُّ ❖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ**﴾[٤].

وكان لا بد لموسى عليه السلام أن يغضب لهذا، إنَّه الغضب المشوب بالرحمة لخوفه على قومه من العقاب الإلهي الشديد نتيجة كفرهم، وهذا هو موقف كل مؤمن يدعو إلى الله تعالى.

وقد اتخذ موسى موقفاً حاسماً فبين لهم أولاً بطلان عبادتهم لهذا العجل،

﴿ **أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾[٥].

ثم قام ثانياً بمحو هذه الظاهرة من حياتهم، ﴿ **قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ**

(٣) وسائل الشيعة آل البيت، الحر العاملي، ج ١٥، ص ١٤.

(٤) طه: ٨٧ – ٨٨.

(٥) طه:٨٩.

نَسْفًا﴾[1].

وسنَّــة الامتحــان الإلهي هذه تجري على جميع الأمم، فالله عزَّ وجلَّ يضع عباده أمام امتحان الطاعة له والالتزام بأوامره ونواهيه والفائزون هم أصحاب الثبات والقدم الراسخة في الإيمان.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ❖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2] .

خلاصة الدرس

- أدى تعلــق بنــي إسرائيل بالماديات وجهلهــم وضعف إيمانهم إلى أن يطلبوا مــن موسى أن يصنع لهــم أصناماً يعبدونها من دون الله. وهذه الحادثة تشكل درساً لأهمية تحصين الإنسان لعقيدته ليواجه بها شبهات المضلين وأن البيئة الصالحة ضرورية لسلامة المجتمع من الإنحراف.
- لقد تخلى بنو إسرائيل عن النعم الإلهية (المن والسلوى) فكان جزاؤهم حياة الذل والمهانة وهذه سنة إلهية تجري على جميع الأمم.
- لقــد اتسم بنو إسرائيل بالجبن وأدى ذلك إلى تخلفهم عن أداء فريضة الجهاد وسنّة الله قضت في من يتخلف عن الجهاد أن يسام الذُل.
- افتــتن بنو إسرائيل بعبــادة العجل وتخلوا عن عبــادة رب السموات والأرض وكان موسى عليه السلام حاسماً أمام هذه الفتنة وهو الموقف اللازم أمام كل الفتن.

أسئلة الدرس

١. ***ما هو السبب الأول في انحراف الإنسان عن طريق الحق؟***

....

....

٢. ***ما هي سنة الله التي تجري على من يكفر بالنعم؟***

....

....

(١) طه:٩٧.

(٢) العنكبوت: ٢- ٣.

٣. *ما هي فائدة تحصين الإنسان لعقيدته؟*

....

....

٤. *ما هو الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه أمام الشبهات العقائدية؟*

....

....

للحفظ

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ❖ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ❖ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ❖ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ❖ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ❖ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

للمطالعة

عن أبي الحسن العسكري عليه السلام: لما كلَّم اللهُ عزَّ وجلَّ موسى بن عمران عليه السلام قال موسى: إلهي ما جزاء من شهد أني رسولك ونبيك وأنك كلمتني؟ قال: يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشره بجنتي.

قال موسى: إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلي؟ قال: يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً، ومن باهيت به ملائكتي لم أعذبه.

قال موسى: إلهي فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك؟ قال: يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق أن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار.

قال موسى: إلهي فما جزاء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى أنسي له أجله وأهون عليه سكرات الموت ويناديه خزنة الجنة: هلمّ إلينا فادخل من أيّ أبوابها شئت.

---

(٣) المائدة: ٢١ - ٢٦.

قـال موسى: إلهـي فما جزاء من كفّ أذاه عن الناس وبذل معروفه لهـم؟ قال يا موسى: يناديه النار يوم القيامة: لا سبيل لي عليك.

قـال: إلهـي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أظله يـوم القيامة بظل عرشي وأجعله في كنفي.

قال: إلهي فما جزاء من تلا حكمتك سراً وجهراً؟ قال: يا موسى يمر على الصراط كالبرق.

قال: إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشَتْمِهِمْ فيك؟ قال: أعينه على أهوال يوم القيامة.

قـال: إلهـي فما جزاء من دمعـت عيناه من خشيتك؟ قال: يا موسى أقي وجهـه من حرِّ النار، وأؤمنه يوم الفزع الأكبر.

قال: إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياءاً منك؟ قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة.

قال: إلهي فما جزاء من أحب أهل طاعتك؟ قال: يا موسى أحرمه على ناري.

قال: إلهي فما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: لا أنظر إليه يوم القيامة، ولا أقيل عثرته.

قال: إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد.

قال: إلهي فما جزاء من صلى الصلوات لوقتها؟ قال: أعطيه سؤله وأبيحه جنتي.

قال: إلهي فما جزاء من أتم الوضوء من خشيتك؟ قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ.

قـال: إلهي فما جزاء من صـام شهر رمضان لك محتسباً؟ قال: يا موسى أقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه.

قـال: إلهـي فمـا جزاء من صـام شهر رمضان يريـد به الناس؟ قـال: يا موسى ثوابـه كثواب من لم يصمه.[١]

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج١٣ - ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

١٤

الدرس الرابع عشر

عيسى بن مريم عَلَيهِ السَّلَام

الدرس الرابع عشر

عيسى بن مريم عليه السلام

الولادة المعجزة

قضى الله في قوانين الطبيعة أن يولد الإنسان من أبٍ وأم، وهذا هو نظام العلل والمعلولات والأسباب والمسببات وهذا النظام لا يعني إطلاقاً عجز الخالق عن إيجاد إنسان من دون أب ولا أم، أو عجزه عن إيجاد إنسان من دون أحدهما وهكذا كانت ولادة عيسى بن مريم عليه السلام فقد خلقه الله من غير أب.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ❖ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

لقد جاءت الملائكة تزفُّ البشرى إلى مريم بأن الله سيهبها طفلاً ولكن لن يكون طفلاً عادياً، إنه مليءٌ بالأوصاف الإلهية فهو زكي ومن الصالحين والوجيه في الدنيا والآخرة، ولكن مريم تساءلت وسؤالها طبيعي.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

والجواب جاءها أنَّه قضاءٌ إلهي، ولكي تطمئن مريم عليها السلام التي فاجأها هذا الخبر فقد كانت البشارة بالولد الذي يكون رسولاً إلى بني إسرائيل أنه المولود المنتظر الذي عاشت أجيال بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام بانتظاره.

عيسى عليه السلام المدافع الأول عن مريم عليها السلام

لقد ساور مريم عليها السلام القلق لأنها عرفت كيف سيكون موقف القوم، فإنهم سيرمونها بأبشع تهمة قد تلحق بأية فتاة عفيفة، إنها تهمة الزنا، وهي عليها السلام مثال الطهر فكيف تبرئ نفسها وهي تحمل وليداً ولا تنكِرُ أنَّـهُ ابنها وأنَّها هي التي ولدته، ولكن الله عزَّ وجلَّ أرشدها إلى الطريق الذي يكونُ بهِ خلاصَها

(١) آل عمران: ٤٦ – ٤٧.

(٢) آل عمران:٤٧

إنَّه الصمت، إن على مريم عليها السلام أن لا تتحدث ﴿ **فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ❖ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ❖ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ❖ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**﴾[٣].

وذلك لأنَّ من سيدافع عن مريم هو هذا الوليد الصغير، وبهذا يكون في كلامه أعظم دفاع عن طهارة أمّه، إنَّها المعجزة تتدخل لتثبت أن هذا المولود ليس عادياً بل هو محل عناية من الله عزَّ وجلَّ.

وأما ما نطق به عيسى فلم يكن فقط الدفاع عن أمه بل البشارة لمن كان ينتظره من بني إسرائيل بأنه رسول من قبل الله تعالى:

﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ❖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ❖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ❖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾[٤].

يبقى سؤال أنَّ عيسى عليه السلام هل كان نبيًّا منذ ولادته أو أنَّه أراد أن يخبر عن المستقبل؟ ظاهر الآية أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام كان نبياً عندما نطق في المهد، فقد ورد في الروايات أن عيسى بن مريم عليه السلام كان نبيّاً في ذلك الوقت ولم يكن رسولاً، وإنما أصبح رسولاً بعد ذلك، فقد ورد أن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، سأله: أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال عليه السلام: «كان يومئذ نبياً حجة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[٥] [٦].

معجزة النبوة

إذا كان عيسى بن مريم عليه السلام رسولاً فإن المعجزة هي دليل صدق للرسول يهبه الله إليه بنحو يعجز سائر أفراد البشر عن الإتيان بمثله.

وكانت معجزة نبي الله عيسى عليه السلام غريبة في زمن عيسى إنها: إحياء الموتى، وإبراء الأعمى، والإنباء

(٣) مريم: ٢٣ - ٢٦.

(٤) مريم: ٢٩ - ٣٣.

(٥) مريم: ٣٠ - ٣١.

(٦) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج ١ ، ص ٣٣٩.

بأمور غيبية.

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

تفيدنا هذه الآية أنَّ رسل الله وأولياءه يستطيعون بإذن منه وبأمره - إذا اقتضى الأمر - أن يتدخلوا في عالم الخلق والتكوين، وأن يحدثوا ما يعتبر خارقاً للقوانين الطبيعية.فاستعمال أفعال مثل "أبرئ" و"أحيي الموتى" وبضمير المتكلم تدل على أن هذه الأفعال من عمل الأنبياء عليهم السلام أنفسهم. ولكن لكي لا يتصور أحد أن الأنبياء والأولياء كان لهم استقلال في العمل، وأنهم أقاموا جهازاً للخلق في مقابل جهاز خلق الله، وكذلك لكي لا يكون هناك أي احتمال للشرك وللعبادة المزدوجة، تكرر قول "بإذن الله".

المؤامرة اليهودية والتدخل الإلهي

لقد بقيت عادات بني إسرائيل على ما هم عليه منذ أن تركهم نبيهم موسى بن عمران وهي عادة التآمر والمكر، لقد صدمتهم ولادة عيسى بن مريم عليه السلام وهم الذين كانوا يرتقبون ولادته ولذلك ذهبوا في اتهامهم لمريم أبشع الاتهامات **﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾**[2].

وكذلك لم يسمعوا لعيسى بن مريم رغم ما جاءهم به من البينات بل أرادوا التخلص منه وهم يفتخرون بفعلهم ذلك.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ❖ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[3]، ولكن الله عزَّ وجلَّ أخبر نبيه عليه السلام بمؤامرة اليهود.

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[4].

---

(١) آل عمران:٤٩

(٢) النساء:١٥٦

(٣) النساء: ١٥٦ – ١٥٧.

(٤) آل عمران:٥٥

إذاً لقـد شبّـه لهم الأمر فقتلوا غيره ولم ينالوا مـن عيسى بن مريم عليه السلام. والتعبير في الآية الكريمة بمتوفيـك ليس المراد منه الموت لأنَّ التوفية هـي أخذ الشيء تاماً ويستعمل في المـوت والمراد منه هنا الأخذ والحفظ.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثني عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال: إن الله أوحى إليّ أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود، فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي، فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، فقال: فأنت هـوذا، فقـال لهـم عيسى، أما إن منكم لمن يكفر بـي قبل أن يصبح اثني عشـرة كفرة، فقال له رجل منهـم: أنا هو يـا نبي الله؟ فقال عيسى: أتحس بذلك في نفسك؟ فلتكن هـو. ثم قال لهم عيسى: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال أبو جعفر عليه السلام إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبـح اثنتي عشرة كفرة، واخـذوا الشاب الذي القي عليه شبح عيسى عليه السلام فقتل وصلب. وكفر الذي قال له عيسى، تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة»(٥).

خلاصة الدرس

- كانـت ولادة عيسـى بن مريم عليه السلام معجزة لأنه ولد من غير أب وقـد بشر الله عزَّ وجلَّ مريم به وبأنه يكون نبياً ورسولاً ومن الصالحين.
- كان عيسى بن مريم عليه السلام المدافع الأول عن أمه أمام ما اتهمت به إذ نطق في المهد.
- كانت معجزة عيسى بن مريم عليه السلام لإثبات نبوته إحياء الموتى وإبراء الأعمى والإنباء بالغيب وكل ذلك بإذن الله.
- تآمـر اليهود لقتل عيسـى بن مريم عليه السلام ولكن الله رفعه إليه فقتلوا شخصاً شبه لهم بعيسى بن مريم.

---

(٥) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج١، ص ٥٦٩.

أسئلة الدرس

١. ***بماذا اقترنت بشارة الله لمريم عندما بشرها بعيسى عليه السلام؟***

....

....

٢. ***هل تتنافى معجزة عيسى بن مريم عليه السلام مع القدرة الإلهية والتوحيد؟***

....

....

٣. ***ما هو المراد من قوله متوفيك لعيسى بن مريم عليه السلام؟***

....

....

٤. ***هل كان عيسى بن مريم عليه السلام نبياً عندما تكلم في المهد؟***

....

....

للحفظ

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ❖ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ❖ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ❖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ❖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ❖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[١].

---

(١) مريم: ٢٧ – ٣٣.

للمطالعة

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه، ثـم مـر به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثـم مـررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه.[٢]

عـن أبـي عبـد الله عليه السلام قال: بينا عيسى بـن مريم في سياحتـه إذ مر بقرية فوجـد أهلها موتى في الطريـق والدور، قال: فقال: إن هؤلاء ماتـوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، قال: فقال أصحابه: وددنا أنا عرفنا قصتهم، فقيل له: نادهم يا روح الله، قال: فقال: يا أهل القرية، قال: فأجابه مجيب منهم: لبيك يا روح الله، قال: ما حالكم؟ وما قصتكم؟ قال: أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية، قال: فقـال: ومـا الهاوية؟ فقال: بحار من نار، فيهـا جبال من النار، قال: وما بلغ بكـم ما أرى؟ قال: حب الدنيا وعبادة الطاغوت، قال: وما بلغ من حبكم الدنيا؟ قال: كحب الصبي لأمه، إذا أقبلت فرح وإذا أدبرت حزن، قال: وما بلغ من عبادتكم الطواغيت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم، قال: فكيف أنت أجبتني من بينهم؟ قال: لأنهم ملجمون بلجام من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد... قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إن النوم على المزابل وأكل خبز الشعير خير كثير مع سلامة الدين.[٣]

---

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج٦ - ص٢٢٠.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٤ - ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

١٥

الدرس الخامس عشر

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والغُلو

الدرس الخامس عشر

عيسى عليه السلام والغُلو

النبي عيسى عليه السلام والغلو

نجحت مؤامرة اليهود في إبعاد عيسى المسيح عليه السلام عن مسرح الأحداث وإن لم يتمكنوا من قتله بل رفعه الله إليه، واعتقدت اليهود بأنَّها قد استراحت منه فيما ذهبت النصارى مذهب الغلو فيه فاعتقدت أنَّه إله أو ابنٌ لله عزَّ وجلَّ، فأخرجوه عن حدِّ البشرية، ويتحدث القرآن الكريم عن مقولتهم هذه في سورٍ متعددة:

﴿.. وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ..﴾(1).

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ..﴾(2)

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ..﴾(3).

وأكبر مصداق للغلو الاعتقاد بكون بشرٍ ما - مهما امتلك من الصفات الحسنة والمواهب - إلهاً، وقد عبَّر القرآن عنْ هذه العقيدة بأنَّها غلو.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ..﴾(4).

أسباب الغلو في عيسى بن مريم عليه السلام:

أولاً: الولادة من غير أب

لعل من الأسباب التي أدّت إلى ذهاب النصارى مذهب الغلو ودعوى أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إله هو ولادته من غير أب وقد رد القرآن الكريم هذه المقولة بأن ولادته من غيرِ أب ليست بغريبة ولا تستدعي هذا الغلو لأن شأنه في ذلك شأن آدم عليه السلام.

---

(1) التوبة:30

(2) المائدة:17

(3) المائدة:73

(4) النساء:171

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٥].

ثانياً: معجزة عيسى عليه السلام

لقـد كانت معجزة عيسى عليه السلام وهي إحياء الموتى من الأفعال غير العادية والتي لا يقدر عليها البشر عادة، ولكنَّ اللّه عزَّ وجلَّ أكّد في الآيات القرآنية أن هذا الفعل إنما كان بإذن من اللّه وليس من عيسى بنحو الاستقلال.

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ ..﴾[٦] .

مواجهة القرآن لظاهرة الغلو

لقـد واجه القـرآن الكريم في آيات متعددة مقولـةَ النصارى بألوهية عيســى عليه السلام ببراهين متعددة أبطل بها هذه العقيدة:

أولاً: رفض القــرآن إطلاقاً نسبة هذه المقولة إلى عيسى بن مريم عليه السلام فهو لم يدّع أنه إله ولم يدعُ النـاسـ إلى عبادتـه، بـل كان نبيّاً دعا النـاسـ إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، فـإذا كان من يدّعي النصارى أنه إله لا يقول ذلك فهذا يعني أن هذه المقولة تسربت إلى أتباعه من فرق أخرى.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ❖ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٧]

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا﴾[٨].

---

(٥) آل عمران: ٥٩.

(٦) آل عمران:٤٩

(٧) المائدة: ١١٦ – ١١٧.

(٨) النساء:١٧٢

ثانياً: إن المسيح لو كان إلها كما يعتقد النصارى لكان ممن يملك أمر نفسه فله أن يحفظ نفسه من الهلاك ومن كل شر وله التصرف في الكون بما يشاء لأن هذا هو معنى كونه إلها وليس المسيح كذلك.
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ثالثاً: إن الإله لا يمكن أن تكون له صفات البشر وعيسى عليه السلام كانت له صفات البشر فقد كان يأكل الطعام وهذا يعني حاجته إلى الطعام للبقاء والله هو الغني عن كل شيء.
﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٢].

رابعاً: إن الإله هو الذي يكون بيده أمر الناس من ضرّ أو نفع، وأما من لا يكون بيده ذلك فلا يكون إلهاً.
﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣].

خامساً: إنَّ من النصارى من ذهب إلى كون المسيح ابناً لله وليس هو الله وقد رد مقولتهم القرآن الكريم بتنزيه الله عزَّ وجلَّ عن أن يكون له ولد، لأن الولد يأتي من الحاجة، إما الحاجة إلى استمرار النسل لأن الموت يصيبه أو الحاجة إلى إشباع العاطفة أو نحو ذلك وكل هذا يتنزه عنه الله الغني عن العالمين **﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾**[٤].

سادساً: من النصارى من ذهب إلى القول بالتثليث وأنَّ الآلهة ثلاثة وأجابهم القرآن ببيان ضرورة التوحيد ونفي وجود شريك لله عزَّ وجلَّ.

(١) المائدة:١٧

(٢) المائدة:٧٥

(٣) المائدة:٧٦

(٤) البقرة:١١٦

﴿.. وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾[٥] .

فإذا كان كل ما في السموات والأرض لله فلن يكون هناك إلهٌ آخر.

سابعاً: لقد أكّد القرآن في ستة عشر مورداً أنَّ المسيح هو عيسى بن مريم وهذا يعني أنَّ المسيح عليه السلام هو إنسان كسائر الناس، خلق في بطن أمه، ومرَّ بدور الجنين في ذلك الرحم، وفتح عينيه على الدنيا حين ولد من بطن مريم عليها السلام كما يولد أفراد البشر من بطون أمهاتهم ومرّ بفترة الرضاعة وتربّى في حجر أمه، مما يثبت أنه امتلك كل صفات البشر فكيف يمكن أن يكون إلهاً أزلياً أبدياً، وهو في وجوده محكوم بالظواهر والقوانين المادية الطبيعية ويتأثر بالتحولات الجارية في عالم الوجود؟ التوحيد الحقيقي ينافي الغلو إن التوحيد الحقيقي يعني الإيمان بالله الذي لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته وأنه الغني عن العالمين. أما نفي الشريك فلأنَّ القدرة الإلهية غير متناهية فهو القادر على كل شيء والإيمان بوجود شريك لله يعني تحديد القدرة الإلهية واختلال نظام هذا الكون نتيجة وجود إلهين لكل واحد نفوذه الخاص.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦].

إذا سوف يسعى كل إله ليتغلب على الإله الآخر وهذا يعني الصراع بينهم وعدم بقاء الكون على ما هو عليه من وحدة في النظام وارتباط دقيق **﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ❖ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[٧].

---

(٥) النساء:١٧١

(٦) المؤمنون:٩١

(٧) الأنبياء: ٢١-٢٢

خلاصة الدرس

- لمـا رفع الله عيسى بن مـريم عليه السلام إلى السماء ذهب بعض أتباعه إلى الغلو فيه فمنهم من جعله إلها ومنهم من جعله ابناً لله.
- الأسباب التي أدّت إلى الغلو في عيسى بن مريم هي: ولادته من غير أب، والمعجزة التي كانت معه وهي إحياء الموتى.
- واجـه القـرآن الكريم الغلو في عيسـى بن مريم عليه السلام بإنكار كون عيسى قـد ادعى الألوهية على لسانـه، وبأن عيسـى بن مريم لو كان إلها لـكان بيده أمر حفظ نفسه من الهـلاك، وبأن لعيسى صفـات البشـر فهو يأكل الطعام ومـن كان كذلك يستحيل أن يكون إلهـا لأن الإله لا بد وأن يكون منزها عن كل حاجة.
- ردَّ القرآن الكريم مقولة من ذهب إلى أن عيسى هو ابن لله لأنَّ الله غني عن الولد والولد لا يكون إلاَّ عن حاجة لدى الوالد.

أسئلة الدرس

١. ***لماذا كانت معجزة إحياء الموتى من أسباب الغلو في عيسى بن مريم عليه السلام؟***

....

....

٢. ***لماذا يستحيل أن يكون لله ولد؟***

....

....

٣. ***كيف أبطل القرآن القول بوجود آلهة ثلاث؟***

....

....

٤. ***كيف يمكن مواجهة ظواهر الغلو؟***

....

....

للحفظ

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1].

للمطالعة

بينما عيسى بن مريم عليه السلام جالس وشيخٌ يعمل بمسحاةٍ ويثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى: اللهم أردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لابد لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي.[2]

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي مثلك في أمتي مثلُ المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإنَّ أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون وفرقة عدوك وهم الشاكون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنة يا علي وشيعتك ومحب شيعتك، وعدوك والغالي في النار.[3]

---

(١) آل عمران: ٤٩ – ٥٠.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ١٤ – ص ٣٢٩.

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٥ – ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

١٦

الدرس السادس عشر

محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة

الدرس السادس عشر

محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة

ممّا وصف الله به نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم هو أن جعله «رحمة للعالمين»: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١].

ومما اختصه به أن جعله «خاتم النبيين»: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢].

ميزتان للدعوة النبوية اجتمعتا فيها، وهما تعنيان أن الرسول هو للبشرية كافة، وأن هذه الرسالة هي رسالة رحمة، أي إن فيها سعادة البشرية كافة في الدنيا والآخرة، ولذا كانت هذه الشريعة ناسخة لكافة الشرائع التي سبقتها ولن تأتي بعدها أي شريعة.

وتتجلى رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه في أمور عديدة:

أولاً: إن هذا النبي هو الذي يضع عن أهل الكتاب الأغلال التي كانت عليهم ﴿...وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...﴾[٣].

وذلك لأنَّ أحبارهم ورهبانهم ابتدعوا أحكاماً قيدوا بها أتباعهم وهي ليست أحكاماً إلهيةً فيها مصلحة البشرية، بل هي أحكام تتسم بالقسوة أراد الله تعالى أن يخلصهم منها من خلال نبيه الخاتم، ولعله من هنا كان وصف الشريعة الإسلامية بالشريعة السهلة السمحاء، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفة السهلة السمحة"[٤].

وثانياً: إنَّ النبي هو الذي جاء بالشريعة التي فيها تفصيل كل شيء بما تقتضيه مصلحة هذا

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الأحزاب:٤٠

(٣) الأعراف:١٥٧

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص ٤٩٤.

الإنسان، ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ** ﴾(٥).

ثالثاً: أنَّه تعالى يعفو عن أمته بسبب شفاعته، بل شفاعته تتسع لجميع الأُمم..

سُئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام عن شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، قال: "يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربّه، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمّد رسول الله فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة، ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول الله عزَّ وجلَّ: ارفع رأسك واشفع تُشفع وسل تُعط، وذلك قوله: ﴿.... **عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾(٦).

وعن الإمام عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمورهم ما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه عندما اضطرّوا».

رابعاً: انَّه دعا الله إن يرفع عن أمته عذاب الإستئصال الذي كان يحيق الأمم السابقة التي تكفر بالرسالات وتستهزى بالأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾(٧).

وسوف نتحدث عن نموذجين من رحمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

١. رحمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بغير المسلمين

لقد تحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الإسلام وهداية الناس الكثير من الأذى، ورغم كل هذا الأذى الذي لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قلبه يمتلأ بالشفقة حتى على غير المؤمنين، طمعاً منه في هدايتهم، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصاً على هدايتهم.

---

(٥) الأعراف:١٥٧

(٦) الإسراء:٧٩

(٧) الأنفال:٣٣

قال تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[1].

وتتحدث الآية بوضوح عن حسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشديدة لعدم اهتدائهم إلى طريق الهدى وليس ذلك إلا رحمة منه بهم لما يجده من مصير سيء لهم ببقائهم على شركهم.

وأعظم مواقف الرحمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقومه كان يوم فتح مكة بعد أن دخلها فاتحًا لم يهرق دمًا، وأذلَّ مشركي قريش وأصبحوا أسرى بين يديه وانتظروا أمره وحكمه عليهم، فقال لهم كلمته الشهيرة "اذهبوا فانتم الطلقاء" واستبدل الشعار الانتقامي الذي كان قد نادى بعضهم به إلى شعار (اليوم يوم المرحمة).

٢. رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين

لمّا أراد الله عزَّ وجلَّ التعريفَ برسوله محمدا في القرآن خصَّه بصفتين وهما الرأفة والرحمة. ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[2].

والعنت هو التعب والمشقة، والحرص شدة طلب الشيء وأمّا "رؤوف" فهي في حق المطيعين من المؤمنين وأما الرحيم فهي بحق العصاة منهم. وذلك لأن معنى الرؤوف الرحيم وإن كان متقارباً ولكن إذا وردتا في كلام واحد اختلف معناهما.

فالمقصود بالآية أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتأذى ويتألم لكل مشقة وأذى تصل إلى المؤمنين وهو يسعى لهدايتهم إلى طرق الخير بكل ما له من قدرة وهو رؤوف بهم ورحيمٌ بالعصاة منهم.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الكتاب:

أ. دعوة النبي لليهود

كانت بداية الهجرة بداية انطلاق دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لليهود لأنهم كانوا يجاورونه في المدينة ولكن طباع اليهود لم تتبدل إنها العداوة الشديدة لهذا النبي ولمن آمن معه قال تعالى: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾[3].

(١) فاطر:٨

(٢) التوبة:١٢٨

(٣) المائدة:٨٢

وتمثلت عداوتهم للنبي ﷺ طيلة إقامتهم في المدينة إلى أن أخرجهم الله منها ويحدثنا القرآن عن بعض نماذج هذه العداوة:

١. تآمرهم لقتل النبي ﷺ

لقد كان بين النبي الأكرم ﷺ ويهود بني النضير حلفاً، وكان يقضي أن يقوم اليهود بمعونة المسلمين عند الحاجة، ولما حلّت الحاجة إليهم كلمهم النبي ﷺ في ذلك فأظهروا الالتزام بذلك ولما جاءهما كانوا قد حاكوا مؤامرة لقتله تقضي بأن يقوم أحدهم وهو (عمرو بن جحاش) برمي حجر من فوق سطح أحد البيوت عليه. ولكن الله عزَّ وجلَّ أخبر نبيه بما خطط له اليهود فخرج النبي ﷺ من مكانه مسرعاً إلى المدينة وتبعه المسلمون بعد ذلك، فأخبرهم بمؤامرة اليهود هذه، وسار جيش المسلمين إليهم فحاصروهم، فتحصنوا داخل قلاعهم، فشدد النبي الحصار عليهم وأمر بأن تقلع الأشجار القريبة من تلك القلاع واستمر الحصارُ لعدَّةِ أيامٍ، إلى أن حقن النبي دماءهم شرط أن يخرجوا من المدينة، وأن لا يحملوا من الأموال إلا ما تحمله الدواب، وهذا ما قصه القرآن بقوله:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ❖ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ❖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٤).

٢. تآمرهم على المسلمين في غزوة الخندق

لما حاصرت قريش وحلفاؤها المدينة اشترك اليهود في هذه المؤامرة، وما إن هزم الله الأحزاب حتى أمر النبي ﷺ المسلمين بالتوجه مباشرة إلى حيث يقيم يهود بني قريظة شركاء الأحزاب الذين نقضوا عهدهم معه، وحاصرهم النبي ﷺ وكعادة اليهود في جبنهم وخوفهم من القتال رضوا بالنزول على حكَم حليفٍ سابق لهم قبل الإسلام وهو سعد بن معاذ وكان من أصحاب النبي ﷺ وكان حكمه عليهم بما يستحقونه فقد حكم عليهم بأن يقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم ونسائهم.

قال تعالى: **﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**

(٤) الحشر: ٢-٤.

فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ❖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [1] [2].

ب. دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنصارى

يصـف الله عزَّ وجلَّ النصارى بأنهم أصحاب لـين في قبول الدعوة **﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ❖ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾**[3].

يذكر الله عزَّ وجلَّ صفات ثلاث تميز النصارى عن اليهود وهي أن فيهم علماء وأن فيهم رهبان وأنهم لا يستكبرون.

ولكن رغم ذلك تجد قصة المباهلة حيث إن حوارا دار بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين وفد من نصارى نجران ولما لم يثمر هذا الحوار طلبوا من النبي اللجوء إلى الملاعنة أي الدعاء بأن يلعن الله الكاذبين واستجاب لهـم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: **﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[4].

وخـرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم المباهلـة ومعه علي بن أبي طالب عليه السلام وابنتـه فاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسـين عليهمـا السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما رأى النصارى ذلك خضعوا لحكم النبي وقبلوا بدفع الجزية دون أن يباهلوه.

---

(١) الصياصي هي القلاع المحكمة.

(٢) الأحزاب: ٢٦-٢٧.

(٣) المائدة: ٨٢ – ٨٣.

(٤) آل عمران:٦١

خلاصة الدرس

- لما كانت شريعة الإسلام هي الشريعة الخاتمة كانت هي أكمل الشرائع والناسخة لما سبقها.
- تتجلى رحمة النبي محمد ﷺ في أمور:
  ١. أنه الذي يضع عن الأمم السابقة الأحكام التي حملت عليها.
  ٢. أنه جاء بالشريعة التي فيها مصلحة هذا الإنسان.
  ٣. أن الله عزَّ وجلَّ أعطاه الشفاعة لأمته.
- لقد كان النبي ﷺ يعيش الشفقة على من لم يؤمن به ويتحسر عليه وذلك رحمة منه بهم أن يصيبهم عذاب الله.
- واجه اليهود دعوة النبي ﷺ بتآمرهم على قتله تارة وبتآمرهم مع أعدائه ونكثهم لعهودهم أخرى.
- تراجع نصارى نجران عن المباهلة وخضعوا لحكم النبي ﷺ.

أسئلة الدرس

١. *ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾؟*

....

....

٢. *لماذا كانت شفقة النبي ﷺ على من لم يؤمن به؟*

....

....

٣. *كيف واجه النبي ﷺ تآمر اليهود عليه وعلى المسلمين؟*

....

....

٤. *لماذا تراجع النصارى عن مباهلتهم للنبي ﷺ وما هو سبب ذلك؟*

....

....

للحفظ

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١].

للمطالعة

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله وسلم لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبـي ورسـول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذّاب. فقال: وما تسألـون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك،

فقـال: إنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، فإن فعـل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا نعم، قال فـإنّي سأريكـم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أنكم لا تفيئـون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يحـزب الأحـزاب. ثم قال: يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعـي بعروقـك حتى تقفي بين يدي بـإذن الله. فوالذي بعثه بالحق لانقلعـت بعروقها وجاءت ولها دوي شديـد وقصـف كقصـف أجنحة الطير حتى وقفـت بين يدي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرفرفة، وألقت بغصنهـا الأعلـى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وببعضـ أغصانها على منكبي، وكنت عـن يمينها فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا – علواً واستكباراً –: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فأمرها بذلك، فأقبل إليـه نصفهـا كأعجب إقبال وأشده دوياً، فكادت تلتف برسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا – كفراً وعتواً – فمر هـذا النصف فليرجـع إلى نصفه كما كان فأمرها فرجع. فقلت أن: لا إله إلا الله فإني أول مؤمن بك يـا رسـول الله، وأول من أقر بـأن الشجرة فعلت ما فعلـت بأمر الله تعالى تصديقـاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتـك. فقـال القوم كلهم: بل ساحرٌ كذاب، عجيب السحر خفيـف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثـل هـذا (يعنوني) وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائـم سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبـرار. عمـار الليل ومنـار النهار. متمسكون بحبـل القرآن. يحيون سـنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلون ولا يفسدون. قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل.»[٢]

---

(١) آل عمران:١٤٤

(٢) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام.

١٧

الدرس السابع عشر

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والنظام الإسلامي

الدرس السابع عشر

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والنظام الإسلامي

لمـا كانـت شريعـة الإسلام هي الشريعة الخاتمـة، كانت الشريعـة الكاملة أيضاً أي التـي تكفل حياة الإنسـان الفرديـة والاجتماعيـة. ولذا فان الإسلام كمـا اشتمل على الأحكام التـي تكفل بناء الحياة الفرديـة للإنسان بما يضمن له مصالحه اشتمل على الأحكام التي تكفل بناء المجتمع الصالح وقوام هـذا وجود قائد لهـذا المجتمع يقوم بضمان تطبيق هذه الأحكام هو النبـي الذي أعطاه الله عزَّ وجلَّ الولاية على المؤمنين فقال: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ..**﴾[1].

وأمرهـم بطاعته فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[2] وامتزجت شريعة الإسلام بالسياسة لأن تطبيق الجزء الرئيسي من أحكام هذه الشريعة يتوقف على وجود سياسة إسلامية تكفل عملية التطبيق هذه، وهذه السياسة تعتمد على إقامة الدولة وإداراتها من الأجهزة التنفيذية.

يقول الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه: «الإسلام دين، خلافاً للمذاهب والأديان غير التوحيدية، يتدخل في جميع الشؤون الفرديـة، والإجتماعية والمادية والمعنوية والثقافية والسياسية والإقتصادية والعسكرية ويشـرف عليها، ولم يهمل أيَّة ملاحظة ولو كانت بسيطة لها دور في تربية الإنسان والمجتمع وتقدمهما المادي والمعنوي»[3].

تأسيس النبي صلى الله عليه وآله وسلم للدولة

لم يكن تأسيس النبي لدولة الإسلام لمجرد أنَّ الفرصة سنحت له بذلك بل لأن بناء الدولة الإسلامية كان هدفاً رئيسًا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا كان أول ما قام به النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما هاجر إلى المدينة هو تأسيس نواة الدولة الإسلامية الأولى.

---

(١) الأحزاب:٦

(٢) النساء:٥٩

(٣) كتاب البيع، الإمام الخميني، ج ٢، ص٤٧٢.

وفي السنة الأولى للهجرة قام النبي بخطوات تمثلت بالأمور التالية:

أ. المعاهدة مع أهل الكتاب

لقد كان مجتمع يثرب (المدينة) مختلفاً عن مجتمع مكة، لأن طوائف من أهل الكتاب كانت تعيش في المدينــة وهم اليهود وقد قام النبي ﷺ بإبرام معاهدة تعايشــ بين المسلمين واليهود ليأمن جانبهم ويحفظ أمن أفراد الدولة الإسلامية وينصرف لبناء الثلة الصالحة.

ب. التكافل الاجتماعي

لقــد كانت قصة المؤاخاة من الحوادث الخالــدة في تاريخ الإسلام، فقد هاجر مع النبي ﷺ طائفة من المسلمين وتركوا أموالهم وكل ما لديهم في مكة وأصبحوا غرباء في تلك المدينة فما كان من النبي ﷺ

وسلــم إلاّ أن آخــى بين المهاجرين والأنصار، وبهذا العمل أوجد الألفة والمحبة بين المسلمين كما أوجد للمهاجرين فرصة للحياة في هذه الدولة الإسلامية بالعزة والكرامة.

جـ. أول فرقة مقاتلة في الإسلام

في الشهــر الثامن من السنة الأولى للهجرة أسس النبي ﷺ أول فرقة مقاتلة وأوكل أمرها إلى بطل الإسلام حمزة بن عبد المطلب وكانت مهمة هذه الفرقة حماية دولة الإسلام وإيصال رسالة إلى قريش بــأنَّ النبــي أسس الدولة وان لهذه الدولة القوة على مواجهة قريش بكل ما تملكه من عظمة وتجبر، لا سيما أن طريق تجارة قريش كان يمر قرب المدينة وهذه الطريق كانت في متناول يد المسلمين.

د. بناء اقتصاد الدولة الإسلامية

لقد تضمنت شريعة الإسلام نظاماً إقتصادياً منسجماً في أحكامه بالنحو الذي يلبي حاجات المجتمع الإسلامــي، وهــذه الأحكام على أنواع: فمنهــا الأحكام التحريمية والتي شملت تحــريم الربا لا سيما مــع إدمــان المجتمع اليهودي في المدينة عليه والذي كان وسيلتهــم الأساسية لسلب أموال أهل المدينة، وتحــريم أمــوال السحت وهي الأمــوال التي تجمع مــن الحرام كالغنــاء والتطفيــف في الكيل، ومنها الأحكام الإلزامية أي الواجبات كالزكاة التي فرضها الإسلام على أصناف محددة كانت تشكل غالب الأمــوال المتعارفــة بين الناس، ومنها الأحكام المستحبة كالحث علــى الصدقة والإنفاق في سبيل الله، ومنها أموال الغنائم الحربية.

خصوصيات دولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

بناء المسجد

أول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قبا، وهو الذي وصفه القرآن بقوله: ﴿.. لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(1).

ففي هذا المسجد رجال يسعون للطهارة، والمراد منها طهارة النفوس وهي التزكية التي كانت هدف بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وللمسجد في دولة الإسلام الأولى دور أساسي تمثل في أمور متعددة فهو مكان اجتماع المسلمين ولقائهم ليسأل بعضهم عن بعض ويطلع المسلم على ما يجري حوله من أحداث وهو مكان التعليم فقد كان المسلمون يجتمعون فيه لتلقي أحكام دينهم وتلقي معالم الإسلام وتعلم القرآن، وكان المسجد هو محل القضاء وفصل الخصومات بين الناس من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان النبي إذا أراد أمراً ما من المسلمين كالتهيؤ للقتال ناداهم ليجتمعوا في المسجد، وقد أراد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من جعل هذه المكانة للمسجد أن يعلن للناس أن دين الإسلام لا يختص بالأمور المعنوية فقط، بل يتصل بالحياة الإجتماعية ويهتم لقضايا الناس ويعمل على إصلاح أمورهم.

الارتباط بالغيب والحياة الآخرة

الإيمان بالمعاد واليوم الآخر هو من ضروريات دين الإسلام، وللاعتقاد بالمعاد أثره البالغ على الحياة الفردية والإجتماعية للمسلم، ويتجلى ذلك في العمل الذي يقوم به المسلم وله نماذج متعددة:

أ. الجهاد والشهادة

لو أن القتال ارتبط بأهداف دنيوية محدودة فلن يوجد الدافع القوي ليقدم الإنسان عليه، ولكن تربية المسلم لما كانت على وجود عالم آخر كان الجهاد هدفاً لنيل إحدى الحسنيين، إما النصر في هذه الدنيا والحياة بعزة، وأما الشهادة والجزاء الأخروي الذي أعده الله تعالى للشهداء.

ب. الإنفاق في سبيل الله وعمل الخير

يرتبط الإنفاق وعمل الخير بالآخرة لأن من يقدم على الإنفاق في سبيل الله ويعتقد باليوم الآخر فانه سوف يرى لعمله ثمرة في الآخرة وسوف يبدله الله خيراً منه في يوم الجزاء، وهذا الارتباط بالغيب في كل عمل خير يقوم به الإنسان دون أن ينتظر جزاء في هذه الدنيا يخلق في نفس المسلم شعوراً نحو

(١) التوبة:١٠٨

أخيه المسلم مما يعزز دور التكافل الإجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، ومما يربط الإنسان بالآخرة عوضاً عن ربطه بالمصالح المادية الضيقة.

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

ج. الصبر على الأذى وتحمل الشدائد

لقد تحمل المسلمون الأوائل أشد أنواع العذاب من قريش وتحملوا الشدائد من الهجرة والفقر والجهاد وكل ذلك لأنهم ارتبطوا بالله عزَّ وجلَّ في كل ذلك، وعلموا أن في الصبر على ذلك كُلّه جزاءاً لا يضيع عند الله تعالى.

د. الصمود والثبات

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ❖ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[3].

الإيمان بالغيب عنصر ثبات لدى الإنسان فالإنسان المؤمن هو من لا يخاف من الشدائد ولا يتأثر بالتخويف والحرب النفسية التي قد يقوم بها أعداء المسلمين لتثبيط العزائم، لأنه يعلم أن كل ما في الكون بيد الله تعالى ولا يجري في الكون أمر إلا بأمره وإرادته، وأن الإيمان والإخلاص لله تعالى من شأنه أن يقلب كل الحسابات الدنيوية، حيث تتدخل اليد الغيبية لنصرة الدين وأوليائه.

خلاصة الدرس

- تشكل السياسة عنصراً ضرورياً في النظام الإسلامي لأن مجموعة من أحكام الشريعة لا يمكن تطبيقها إلا في ظل وجود دولة إسلامية.
- لقد كان تأسيس الدولة من أهداف النبي ﷺ أول الهجرة. وتضمن بناؤه للدولة القيام بالمعاهدات مع الطوائف الأخرى والقبائل وتأسيس فرق مقاتلة للدفاع عن المسلمين وإرهاب أعدائهم وفرض ضريبة الزكاة لسد حاجة الفقراء.
- جعل النبي ﷺ من المسجد منطلق الدولة ومحل تجمع المسلمين لتلقي التربية الإسلامية

---

(٢) البقرة:٢٦١

(٣) آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤.

والتعليم الإلهي.

- الارتباط بالغيب عبر الإيمان باليوم الآخر له أثره على حياة المسلم الفردية والإجتماعية كالجهاد والإنفاق في سبيل الله والصمود والثبات.

أسئلة الدرس

١. *هل يمكن إحياء شريعة الإسلام دون وجود عمل سياسي ودون إقامة الدولة؟ كيف تشرح ذلك؟*

....

....

....

....

٢. *ما هي الخطوة التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتوحيد قلوب المسلمين؟*

....

....

٣. *لماذا أسس النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفرقة المقاتلة الأولى وبقيادة من كانت؟*

....

....

٤. *اشرح بعض آثار الإيمان بالغيب في حياة المسلمين؟*

....

....

....

....

للحفظ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ❖ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ❖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[١].

للمطالعة

عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لهم داحي المدحوات[٢]. وداعم المسموكات[٣]. وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها. اجعل شرائف[٤] صلواتك ونوامي بركاتك[٥] على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق. والفاتح لما انغلق. والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات[٦] الأباطيل. والدامغ صولات الأضاليل[٧]. كما حمل فاضطلع[٨] قائماً بأمرك مستوفزاً[٩]١٥ في مرضاتك غير ناكل[١٠]١٦ عن قدم. ولا واه في عزم[١١]١٧. واعياً لوحيك حافظاً لعهدك. ماضيا على نفاذ أمرك.

---

(١) النساء: ٥٩ – ٦١.

(٢) باسط الارضين.

(٣) ممسك السماوات.

(٤) جمع شريفة.

(٥) زوائد.

(٦) جمع جيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

(٧) من دمغه إذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ.

(٨) نهض بالأمر.

(٩) مسرعا.

(١٠) متأخر.

(١١) ضعيف.

حتـى أورى قبس القابسـ[1] ١٨ وأضاء الطريق للخابط[2] ١٩ وهديت بـه القلوب بعد خوضات الفتن. وأقـام موضحات الأعلام ونيرات الأحـكام. فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون. وشهيدك يوم الديـن وبعيثـك بالحق. ورسولك إلى الخلق. أللهم افسح له مفسحاً في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك. أللهم أعل على بناء البانين بناءه وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك لـه مقبـول الشهادة ومرضـي المقالة[3] ٢٠ ذا منطق عـدل، وخطة فصل، أللهم اجمـع بيننا وبينه في بـرد العيش وقـرار النعمة، ومنى الشهوات. وأهواء اللذات ورخاء الدعـة. ومنتهى الطمأنينة. وتحف الكرامة[4].

---

(١) القبس الشعلة من النار والقابس من يطلب النار كناية عمن يبحث عن الهداية.

(٢) الذي يسير ليلا ولا يعرف الطريق.

(٣) الكلام والحجة.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٧٢.

١٨

الدرس الثامن عشر

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته عليهم السلام

الدرس الثامن عشر

رسول الله ﷺ مع أهل بيته عليهم السلام

يقـول الله تعـالى في محكم كتابه: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] .

تمهيد

إنّ أهل البيت عليهم السلام هم أولو الأمر الّذين أمر الله بطاعتهم، وهم الشهداء على الناس، وهم أبواب الله والسبيـل إليـه، والأدلاء عليه، وهم عيبة علمه، وتراجمة وحيـه، وأركان توحيده، وهم معصومون من الخطـأ والزلل، وهم الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنّ لهم المعجزات والدلائل، وهم أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ومثلهم في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح.

وقـد ورد أنّ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقي ستّة أشهر بعد نزول هـذه الآية ينادي عند مروره من جنب بيت فاطمة عليها السلام وهـو ذاهـب إلى صلاة الصبح: «الصلاة يا أهل البيـت! إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[2] .

فيمن نزلت آية التطهير؟

إنّ هـذه الآية بالرغم من أنّها وردت ضمن الآيـات المتعلّقة بنساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، إلّا أنّ تغيير سياقها - حيـث تبـدّل ضمير الجمع المؤنث إلى ضمـير الجمع المذكر - دليل على أنّ لهـذه الآية معنى ومحتوى مستقـلّاً عـن تلك الآيات، ولهـذا فحتّى أولئك الّذيـن لم يعتبروا الآية مختصّـة بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمـة والحسـن والحسين عليهم السلام ، فإنّهـم اعتقدوا أنّ لها معنى واسعاً يشمـل هؤلاء العظام ونساء النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم . ولكـنّ الروايات الكثيرة الّتي بين أيدينـا تبين أنّ هذه الآية خاصّـة بهؤلاء الأجلاء، ولا تدخل الزوجات ضمن الآية، بالرغم من أنهنّ يتمتعن باحترام خاصّ، و من هذه الروايات:

روي عـن أمّ سلمـة، أنّهـا قالت: «نزلت في بيتي وفيـه عليّ، وفاطمة، والحسـن، والحسين، عليهم السلام فأخذ

---

(١) الأحزاب:٣٣.

(٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني،ج ٢، ص١١.

رسـول الله ﷺ عباءة فجلّلهم بها، ثمّ قال: هؤلاء، أهـل بيتي، أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا، فقلت: يا رسول الله ﷺ ألست من أهل البيت؟ فقال: إنّك على خير»[٣].

وعن ابن عباس: "أنّها نزلت في عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام".

وقـد وردت روايـات كثيرة جدّاً بصورة مجملة في شـأن حديث الكساء الّـذي كان المناسبة لنزول آية التطهـير، يستفـاد منها جميعاً أنّ النبيّ ﷺ دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - أو أنّهم أتوا إليـه- فألقـى عليهم عباءة وقال: "اللّهمّ هـؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجـس وطهّرهم تطهيراً، فنزلت الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٤].

ما هو الهدف من جمعهم تحت الكساء؟

إنّ قصّة الكساء لها أبعاد إيمانيّة ولطائف نورانيّة عظيمة، حيث إنّ النبيّ ﷺ جمع أهل بيته عليهم السلام تحت كسائه كما يجمع الأب أولاده في حضنه ليقيهم البرد ويشعرهم بالأمان والمحبّة، مشيراً في ذلك إلى عظمـة وقدسيّـة من هم تحت الكسـاء، كذلك أراد النبيّ ﷺ أن يحدّد هـؤلاء ويعرّفهم تماماً، وليقـول: إنّ الآيـة نزلت في حقّ هؤلاء خاصّة، لئلا يرى أحد أو يظنّ ظانّ أنّ المخاطب في هذه الآية كلّ مـن تربطـه بالنبيّ ﷺ قرابة، وكلّ مـن يعدّ جزءاً من أهله، حتّى جاء في بعض الروايات أنّ النبيّ ﷺ قـد كـرّر هـذه الجملة ثلاث مـرّات: "اللّهمّ هؤلاء أهـل بيتي وخاصّتي فأذهـب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"[٥].

هذا هو مراد النبيّ ﷺ من حصرهم تحت الكساء، ومنع حتّى أمّ سلمة من الدخول معهم، كما ورد في روايات كثيرة، قاطعاً بذلك العمل الأبويّ الطريقَ على كلّ ادعاء بشمولها لغيرهم.

هم الخلفاء بعد النبيّ ﷺ

إنّ أهـل البيـت عليهم السلام الّذيـن ورثوا علـم النبيّ محمّـد ﷺ، وتحلّـوا بأخلاقه، وعاشوا تحـت رعايته واهتمامـه، وهـم الّذين حملوا راية الإسلام واستشهـدوا في سبيلها، وهم الّذين نُصّبـوا بأمرٍ إلهيٍّ، واختـيروا من العليّ الأعلى ليكونوا قادة وسادة أهل الوجـود، فمع كلّ هذه الكرامات والشمائل أيُعقل

(٣) بحار الأنوار، م.س، ج٢٥،ص٢١٤.

(٤) شواهد التنزيل، ج ٢، ص٣١ وما بعدها.

(٥) الدر المنثور، السيوطي، ج٥، ص١٩٨.

أن لا يكونـوا هـم الخلفاء والأوصياء بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وهم الأحـقّ والأجدر بقيادة الأمّة نحو الله عزَّ وجـلَّ، وهـم الامتداد للخطّ النبويّ هذا كما جاء على لسان النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «في كلّ خلف من أمّتي عدل من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وأنّ أئمّتكم وقودكم إلى الله عزَّ وجلَّ فانظروا من توقدون في دينكم»[1].

وقـال صلى الله عليه وآله وسلم : "مثل أهل بيتي، كمثل نجوم السماء، فهم أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم، طويت السماء، وإذا ذهب أهل بيتي خربت الأرض"[2].

وقوله: "يا عليّ الإمامة فيكم، والهداية منكم"[3].

وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم : "إنّ من أهل بيتي اثني عشر نقيباً نجباء، محدّثـون، مفهّمون، آخرهم، القائم بالحقّ عليه السلام "[4].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : "إنّ الله تعالى اختار من الأيّام يوم الجمعة ومن الشهور شهر رمضان ومن الليالي ليلة القـدر، واختار من الناس الأنبيـاء والرسل، واختارني من الرسل واختار منّـي عليّاً، واختار من عليّ الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء يمنعون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأوّل الجاهلين، تاسعهم باطنهم ظاهرهم قائمهم وهو أفضلهم"[5]١٠.

من هم أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام هم الّذين جعل الله مودتهم أجر الرسالة، فقال تعالى: ﴿.. **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ..﴾[6].

وقد ورد أنّه اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمّداً يسأل على ما يتعاطاه أجـراً؟ فنزلت الآية. فقيل: يا رسول الله ! مـن قرابتك هؤلاء الّذين وجب علينا مودّتهم؟ قال: "عليّ وفاطمة، وابناهما، حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي. ألا ومن مات على حبّ آل

(١) بحار الأنوار،ج٢٣،ص٣٠.

(٢) المعتبر، المحقق الحليّ، ج١، ص٢٤.

(٣) م.ن، ج١، ص٢٤.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٤٤٨،ح ١٨.

(٥) بحار الأنوار،ج٢٥،ص٣٦٣.

(٦) سورة الشورى،الآية: ٢٣.

محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مـات تائبـاً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكملاً للإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة. ثمّ منكر ونكير. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تـزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مـات على حبّ آل محمّد فُتح له بابان في قبره إلى الجنّة، ألا ومـن مـات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكـة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة"(٧).

سفينة نوح

وأمّـا السفينة الّتي قدّرها الله تبـارك وتعالى لنوح عليه السلام سبباً لنجاة من آمن معه من الماء، فإنّ الله سبحانـه وتعالى جعـل أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم سفينة لنجاة أمّته من النـار فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»(٨).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق. وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له"(٩).

بيّن صلى الله عليه وآله وسلم بذلك أنّ بهم نجاة أمّته كما كان بها نجاة قوم نوح عليه السلام من الغرق، وهذا دليل قاطع على أنّ الواجـب اتباعهـم والاقتداء بهم، لأنّ من آمن به واتبعه نجـا، ومن لم يؤمن به ولم يركب السفينة هلـك، ولمّـا جعل نفس أهل بيته السفينـة، وأمرهم بركوبها، دلّ على أنّهـم المقتدى بهم، وهذا واضح وظاهر من الرواية.

وممّـا يأخـذ بالأعناق إلى أهل البيت عليهم السلام، ويضطرّ المؤمن إلى الانقطـاع في الدين إليهم، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "النجـوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف (في الدين)

(٧) تفسير الكشّاف،ج ٢، ص٣٣٩، كذلك ينظر: أرجح المطالب: ص ٣٢٠، وفرائد السمطين،ج ٢،ص٤٩، ومقام أمير المؤمنين،ص ٤٤ – ٤٥.

(٨) أخرجه الحاكم بالإسناد إلى أبي ذر ص ١٥١ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك.

(٩) أخرجـه الطـبراني في الأوسـط عن أبي سعيد وهذا هـو الحديث ١٨ من الأربعـين الخامسة والعشرين مـن الأربعين أربعين للنبهاني ص ٢١٦ من كتابه الأربعين أربعين حديثاً.

فإذا خالفتها قبيلة من العرب - يعني في أحكام الله عزَّ وجلَّ - اختلفوا فصاروا حزب إبليس"[١].

هذا غاية ما في الوسع من إلزام الأمّة باتباعهم، وردعها عن مخالفتهم. ولا يوجد في لغات البشر كلّها أدلّ من هذا الحديث على ذلك.

غدير خم وحكمة النبيّ ﷺ

إنّ النجاح النبويّ الساحق يظهر بإبراز من سيخلفه في الوقت نفسه الّذي كان فيه رسول الله ﷺ يركّز على حقيقة وطبيعة المكانة الخاصّة المميّزة الّتي اختارها الله لأهل بيته، فكان النبيّ ﷺ يسلّط أضواء ربانيّة خاصّة على الأئمّة من أهل بيت النبوّة، فيقدّمهم من خلال تركيزه الخاصّ عليهم كقادة شرعيّين للأمّة، وقد ساق رسول الله ﷺ الخطّين معاً، فعمّم المكانة السامية لأهل بيت النبوّة، وأبرز المكانة الخاصّة للأئمّة الأعلام منهم. فبيّن أنّ أهل بيت النبوّة هم المطهّرون، وهم أولو القربى الّذين فرض الله مودّتهم، وهم الأبناء والنساء والأنفس الّذين عنتهم آية المباهلة، وهم الأبرار الّذين عنتهم آية الإطعام، وهم أولو الأمر الّذين فرض الله طاعتهم، وهم أهل الذكر... إلخ.

ولأنّ منصب من يخلف النبيّ ﷺ هو حجر الأساس لنظام الحكم في الإسلام، ولقطع الطريق على أعداء الله السابقين الّذين تستّروا بالإسلام، وحتّى لا تكون لهم حجّة يحتجّون بها أمام الله، فقد أمر الله رسوله ﷺ بأن ينصّب ويتوّج عليّاً عليه السلام إماماً من بعده، وأن يكلّف المسلمين بمبايعته فرداً فرداً تحت إشراف الرسول ﷺ شخصيّاً، فصدع الرسول ﷺ بأمر ربّه بعد أن أكمل رسول الله ﷺ والمسلمون شعائر فريضة الحجّ، ولأنّ الرسول ﷺ قد أعلن بأنّ حجّته تلك هي حجّة الوداع، وأنّه لن يراهم أبداً بعد هذا العام، فقد تعلّقت به القلوب والأبصار، وأرادوا أن يتزودوا من النظر إليه، وأن يسمعوا كلّ كلمة يقولها. خرج النبيّ ﷺ من مكّة متوجّهاً إلى المدينة، وتبعته وفود الحجيج، وفي مكان يدعى غدير خم، أناخ النبيّ ﷺ ركابه، وأمر بردّ الّذين سبقوه بالسير، وباستعجال الّذين تأخّروا عنه، وأحيط المسلمون علماً بأنّ الرسول ﷺ سيصدر بيانه الأخير، وتلخيصه للموقف، من خلال خطبة سيلقيها أمام الجموع.

واحتشد المسلمون بالفعل في غدير خم وجاوز عددهم بأقل التقديرات مائة ألف مسلم ومسلمة، وبعد قليل ظهر النبيّ ﷺ وإلى جانبه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والناس جلوس، والنبيّ ﷺ وعليّ في حالة وقوف، في مكان مكشوف ومرئيّ من كلّ الناس. خشعت الأصوات، فلا تسمع همساً، العيون

(١) أخرجه الحاكم في ص ١٤٩ من الجزء الثالث من المستدرك عن ابن عباس، ثمّ قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

معلّقــة بالنبيّ ﷺ وبعليّ والجميــع يتساءلون، لماذا جمع رسول الله النـاســ؟ ! وأي أمر خطير يريد أن يعلنــه؟ حمــد رسول الله ﷺ ، الله وأثنى عليــه ثمّ قال: «كأنّي قد دعيت فأجبــت... أيّها النـاس إنّمــا أنــا بشر يوشــك أن يأتي رسول ربّي فأجيــب !..». لقد تأكّد المسلمون السامعــون من أنّ الرسول ﷺ سيمــوت لا محالــة، فتابعوا بشغف واهتمام كلّ كلمة كانت تخرج من فم الرسول ﷺ. ثمّ تابع الرسول ﷺ خطبته قائلاً: «وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه النور والهدى فخذوا بكتاب الله، واستمسكــوا بــه، وعترتي أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهــل بيتي». وفجأة سأل رسول الله ﷺ الجمــوع المسلمة المحتشدة أمامه قائلاً: «أيّها الناس من وليّكم؟» فردّت الجموع بصوت واحد: «الله ورسوله»، وهنا أخذ الرسول ﷺ بيد عليّ عليه السلام فأقامه ثمّ قال: «من كان الله ورسوله وليّه فهذا عليّ وليّه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

ومرّة أخرى سأل الرسول ﷺ المسلمين: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقال المسلمــون: بلــى! وسألهــم الرسول ﷺ ثانية: ألستــم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمــن من نفسه؟ فقال المسلمــون بلــى، فرفع الرسول ﷺ يد علــيّ بن أبي طالب» وقال: «من كنت مــولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال مــن والاه وعــاد من عاداه». ثمّ قال الرسول ﷺ: «أيّها النـاس إنّي وليّكم، قال النـاس نعم، فرفع الرســول ﷺ يــد عليّ بن أبي طالب» وقــال: «هذا وليّي ويؤدّي عني، وأنا مــوال من والاه، ومعاد من عــاداه». ثــمّ أكّد الرســول ﷺ الحقيقة الّتي اتّفق عليهــا الجميع فقال: «إنّ الله، مــولاي وأنا مولى المؤمنــين، وأنــا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مــولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه».

بعــد أن انتهت مراسم تنصيب وتتويج مــن سيخلف رسول الله ﷺ ، هبط جبريل ومعه آية الإكمال ﴿**أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾(٢) وصار يوم الغدير عيداً.

وفي الختــام علينــا أن نعلم أنّ الله عزَّ وجلَّ الّذي جعل النبيّ ﷺ نبيّاً هو الّذي جعل علياً إماماً، وأن نصب الإمام وإقامته واختياره إلى الله عزَّ وجلَّ، وأنّ فضله منه. ويجب أن نعتقد أنّه يلزمنا من طاعة الإمام ما يلزمنا من طاعة النبيّ ﷺ ، وأنّ كلّ فضل آتاه الله عزَّ وجلَّ نبيّه فقد آتاه الإمام إلّا النبوّة، ويجب أن نعرف أنّ بهم فتح الله، وبهم يختم.

---

(٢) المائدة:٣

مطالعة

حديث جابر مع السيّدة الزهراء عليها السلام

عـن أبـي بصير، عن أبي عبـد الله عليه السلام قال: قال أبي عليه السلام لجابر بن عبـد الله الأنصاري: إنّ لي إليـك حاجـة فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، فقال له جابر: في أيّ الأوقات شئت، فخلى به أبو جعفر عليه السلام ، قال له: «يا جابر أخبرني عن اللوح الّذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومـا أخبرتك به أنّـه في ذلك اللوح مكتوباً، فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة عليها السلام في حيـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهنّئها بـولادة الحسين عليه السلام فرأيت في يدها لوحـاً أخضر ظننت أنّه مـن زمـرّد، ورأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت وأميّ يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا اللوح أهداه الله عزَّ وجلَّ إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه اسم أبي واسم بعْلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك.

قال جابر: " فأعطتنيه أمّك فاطمة عليهما السلام فقرأته وانتسخته فقال له أبي عليه السلام: فهل لك يا جابـر أن تعرضه عليّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبي عليه السلام حتّى انتهى إلى منزل جابر فأخرج إلى أبي صحيفـة مـن رقّ، فقال: يا جابر انظـر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك، فنظـر جابر في نسخته فقرأه عليـه أبي عليه السلام فـوالله ما خالف حرف حرفاً، قال جابر: فإنّي أشهد بـالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمّـد نوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عظّم يا محمّد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا قاصم الجبّاريـن "ومبير المتكبّرين ومذلّ الظالمـين وديّان يوم الدين، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي عذّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل، إنّي لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه وانقضت مدّته إلّا جعلت له وصيّاً وإنّي فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيّك علـى الأوصيـاء وأكرمتك بشبليك بعده وبسبطيك الحسن والحسـين، وجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضـاء مدّة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيـي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل مـن استشهـد وأرفع الشهـداء درجة، جعلت كلمتي التامّـة معه، والحجّة البالغة عنـده، بعترته أثيب وأعاقـب، أولهم عليّ سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنـه سمّي جدّه المحمود، محمّد الباقر لعلمـي والمعـدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد علـيّ، حقّ القول منّي لأكرمنّ

مثوى جعفر، ولأسرّنه في أوليائه وأشياعه وأنصاره وانتحبت بعد موسى فتنة عمياء حندس، لأنّ خيط فرضي لا ينقطع وحجّتي لا تخفى، وأنّ أوليائي لا يشقون أبداً، ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي، (ألا) إنّ المكذّب بالثامن مكذّب بكلّ أوليائي. وعليّ وليّي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوّة وأمتحنه بالاضطلاع، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة الّتي بناها العبد الصالح ذو القرنين إلى جنب شرّ خلقي، حقّ القول منّي لأقرّن عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده، فهو وارث علمي ومعدن حكمتي وموضع سرّي وحجتي على خلقي، جعلت الجنّة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، ثمّ أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب، ستذلّ أوليائي في زمانه ويتهادون رؤوسهم كما تهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض من دمائهم، ويفشو الويل والرنين في نسائهم أولئك أوليائي حقّاً، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأرفع عنهم الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون"[١].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة،الشيخ الصدوق،ص٣١١.